ملامح التشريع العقابي
في ضوء سورة يوسف

د / نجلاء عبده محمد العدلي
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بكلية التربية
جامعة عين شمس -مصر

من ٣٥٧ إلى ٤٣٢

Features of penal legislation in light of Surah Yusuf

Dr -Naglaa Abdu Mohammed El-Adly
Assistant Professor of Islamic Studies, College of Education
Ain Shams University - Egypt

نجلاء عبده محمد العدلي
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية -كلية التربية - جامعة عين شمس- مصر
البريد الإلكتروني:Naalaed@pnu.edu.sa
الملخص:
لم يغفل القرآن الكريم شيئا إلا وتكلم عنه، ومن الأمور التي أولاها المشرع الحكيم عناية خاصة حقوق الناس، وهي من الحقوق التي لا يتسامح الله تعالى فيها، ولا تسقط يوم الدين، إلا بعفو أصحابها ومسامحتهم فيها في الحياة الدنيا.
ومازالت الجريمة على اختلاف أشكالها وتباين ألوانها، تتوغل في حياة الناس منذ بدء الخليقة، إلى أن يرث المولى تعالى الأرض وما عليها.
وما زالت العقوبات على الجرائم في القوانين الوضعية تختلف على مرّ الزمان واختلاف المكان، تبعا للاحتياجات الاجتماعية والمصالح الدنيوية، بينما الحدود الشرعية على تلك الجرائم ثابتة لا تتغير؛ لأنها تعمل في بعدين متوازيين، وهما: البعد الأخروي، والبعد الدنيوي، وبتكافل البعدين معا تتحقق السعادة للإنسانية، ويتعمق الشعور بالسكينة والطمأنينة لدى الأفراد والجماعات، وهذا بدوره يخلق نوعاً من أنواع الوقاية للجريمة، الأمر الذي لا يمكن توفره في الشرائع الوضعية، التي لا تعمل إلا في إطار البعد الدنيوي فحسب.
وسيظل القرآن الكريم يقدم لنا الكثير من المضامين التربوية، وبخاصة المضامين المستفادة من قصصه الواقعية، ومازالت سورة يوسف تقدم لنا المزيد من العبر والحكم، لوقائعها الفريدة، ومنهجها المتكامل للحياة الإنسانية، والتي منها الجريمة وتشريعاتها العقابية، وتبعا لذلك فقد عالجت هذه الدراسة الجريمة ودوافع الجناة، وكيفية تخطيطهم للجريمة وخطوات تنفيذها، طبقا لورودها في سورة يوسف، ثم ناقشت بعد ذلك الحقوق الشرعية للمتهم، ثم تطرقت بالحديث عن أهم أسس التحقيق في الجرائم الجنائية وآلياته، وسياسة البشر في تطبيق القوانين والعقوبات، ثم أتممت البحث ببيان أهم المبادئ والآداب المستوحاة من ملامح الجريمة والتشريع العقابي، قد تمت معالجة البحث على ضوء الدراسة الموضوعية لسورة يوسف برؤية شرعية معاصرة.
الكلمات المفتاحية: ملامح، التشريع، العقاب، سورة يوسف.

Features of penal legislation in light of Surah Yusuf

Naglaa Abdu Mohammed El-Adly
Department of Arabic Language and Islamic Studies - Faculty of Education - Ain Shams University – Egypt
Email: naglaaadly@gmail.com

Abstract:

The Holy Qur'an did not neglect anything without speaking about it, and among these matters that the wise legislator gave special attention is the rights of people, and it is one of the rights that God Almighty does not forgive, and it does not fall on the Day of Judgment, except by pardoning and forgiving its owners in this worldly life.

Crime in all its forms continues to penetrate into people's lives from the beginning of creation until the Almighty inherits the earth and what it is on.

Penalties for crimes in statutory laws still differ over time and in different places, according to social needs and worldly interests, while the legitimate limits on these crimes are fixed and do not change. Because it works in two parallel dimensions: the otherworldly dimension and the worldly dimension, and with the interdependence of the two dimensions together, happiness for humanity is achieved, and the feeling of tranquility and a sense of reassurance is deepened among individuals and groups, and this in turn creates a kind of protection for crime, which cannot be provided in man-made laws, which are not It works only within the mundane dimension only.

The Holy Qur'an will continue to provide us with many educational contents, especially the contents learned from its realistic stories. Surat Yusuf continues to provide us with more lessons and judgment, for its unique facts and its integrated approach to human life, including crime and its punitive legislation. Accordingly, this study addressed the crime and the motives of the perpetrators. And how they plan for the crime and the steps to implement it, according to its narration in Surat Yusuf, then discussed the legitimate rights of the accused, then touched on the most important foundations and mechanisms for investigating criminal offenses, and human policy in the application of laws and penalties, then I completed the research with a statement of the most important principles and ethics inspired by the features of Crime and penal legislation. The research has been dealt with in light of the objective study of Surat Yusuf with a contemporary legitimate view.

keywords: features, Legislation, Punishment, Surah Yusuf,

مقدمـــة

الحمد لله الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، وجعله خليفة في الأرض؛ ليقيم الشرع إلى يوم الحشر ووضع الميزان، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم رسله على مرّ العصور واختلاف الأزمان، **وبعـــــــــــد:**

فلم يغفل القرآن الكريم شيئا إلا وتكلم عنه، **ومن الأمور التي أولاها المشرع الحكيم عناية خاصة حقوق الناس، وهي من الحقوق المبنية على المطالبة والمُشاحَّة؛ لذا لا يتسامح الله تعالى فيها، ولا تسقط يوم الدين، إلا بعفو أصحابها ومسامحتهم فيها في الحياة الدنيا، وإلّا سيكون توفيتها من حسنات المعتدين وسيئات المظلومين.**

ومازالت الجريمة على اختلاف أشكالها وتباين ألوانها، تتوغل في حياة الناس منذ بدء الخليقة، إلى أن يرث المولى تعالى الأرض وما عليها، ومازال المجتمع الإنساني حائرا في خضم من التعدي والاتهامات، وما ينتج عنهما من ظلم وهلع وترويع، الأمر الذي يتطلب تحجيم الجريمة، ووضع العقوبات الرادعة عليها.

والعقوبات في القوانين الوضعية قد تختلف على مرّ الزمان واختلاف المكان، تبعا للاحتياجات الاجتماعية والمصالح الدنيوية، بينهما الحدود الشرعية ثابتة لا تتغير؛ لأنها تعمل في بعدين متوازيين، وهما: **البعد الأخروي:** ويتعلق بعلاقة الإنسان بخالقه تعالى ومدى التزامه بتطبيق شرائعه، **والبعد الدنيوي:** ويتعلق بعلاقة الإنسان بالآخرين، **ويتكافل البعدين معا تتحقق السعادة للإنسانية،** ويتعمق الشعور بالسكينة والطمأنينة لدى الأفراد والجماعات، وهذا بدوره يخلق نوعاً من أنواع **الوقاية** للجريمة، الأمر الذي لا يمكن توفره في الشرائع الوضعية، التي لا تعمل إلا في إطار البعد الدنيوي فحسب.

ومن السور الكريمة التي تناولت الجريمة وتشريعاتها العقابية **سورة يوسف** (التي مازالت تقدم لنا الجديد، وتتسع للعديد من الدراسات المتنوعة، على كثرة الدراسات فيها)، ومن هنا جاءت فكرة البحث، الذي تطرقت فيه بدراسة ملامح الجريمة ومتعلقاتها، في مجتمع اندثر منذ آلاف السنين، وبيان مدى التوافق والاختلاف بينه وبين مجتمعنا الإسلامي المعاصر.

وتبعا لذلك فقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأهم المصادر والمراجع، على النحو التالى:

المقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: الجريمة والجناة في سورة يوسف، وتناولت فيه، أربعة مطالب أساسية متعلقة بالجريمة ومرتكبيها، وهي:

الأول: المقصود بالجريمة والتشريع العقابي **الثاني:** دوافع الجريمة

الثالث: التخطيط للجريمة **الرابع:** تنفيذ الجريمة

المبحث الثاني: حقوق المتهم، واشتمل على **ثلاثة مطالب:**

الأول: حق المتهم في الدفاع عن نفسه.

الثاني: حق المتهم في إظهار براءته على الملأ.

الثالث: حق المجني عليه في العفو عمّن ظلمه.

المبحث الثالث: أسس التحقيق في الجرائم وآلياته، وتضمن الحديث عن **ثلاثة مطالب:**

الأول: مبادئ التحقيق في الجرائم الجنائية **الثاني:** شخصنة العقوبة لمن تثبت عليه الأدلة

الثالث: سياسة البشر في تطبيق القوانين والعقوبات

المبحث الرابع: مبادئ وآداب مستوحاة من ملامح الجريمة والتشريع العقابي، والتي من أهمها: (الحكمة من تشريع العقوبات وتطبيقها – وجوب العدل بين الأولاد – الصبر والثبات عند الابتلاء – آداب الخصومة عند الاختلاف – سوابق الإنسان تحدد سمعته – حرمة التشييء للبشر واسترقاق الحر).

الخاتمـــة: ورصدت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د / نجلاء عبده محمد العدلي

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد بكلية التربية

جامعة عين شمس

المبحث الأول

الجريمة والجناة في سورة يوسف

يولد الإنسان على الفطرة القويمة؛ التى لا تعرف أذى أو إجراما، ثم تتشكل شخصيته، وغالبا ما يتأثر بمن حوله تأثيرا إيجابيا أو سلبيا، تبعا لاستعداده النفسي، فإن كان استعداده النفسي يميل إلى الخير؛ سيصبح إنسانا صالحا، وإن كان استعداده النفسي يميل إلى السوء، فسينحرف بسلوكه إلى الأفعال غير السوية، التي قد تصل به في بعض الأحيان إلى ارتكاب بعض الجرائم، وهذا ما حرص ديننا الحنيف على توقيه؛ بحثه على تهذيب النفس بمكارم الأخلاق، وتنمية الضمير باستشعار الرقابة الإلهية في كل قول أو فعل، **وفي الوقت ذاته شرع الحدود وأمر بتطبيقها**؛ ليرتدع من تسول له نفسه ارتكاب الجريمة، وفوق ذلك فقد توعد مرتكبي الجرائم بالعقوبة الأخروية إن فلت من العقوبة الدنيوية، أو لم يتب من جريمته توبة نصوحة بشروطها الصحيحة[١]؛ وبذلك تستقيم الحياة؛ إذ إن الأمن والاستقرار ضرورة إنسانية، لا يستطيع الإنسان ممارسة حياته على الوجه الأمثل بدونهما، فهذا هو عدل الله، وسنته في تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة.

وفي ضوء سورة يوسف سوف أتناول في هذا المبحث أربعة مطالب أساسية متعلقة بالجريمة والجناة، وهي:

- المقصود بالجريمة والتشريع العقابي
- دوافع الجريمة
- التخطيط للجريمة
- تنفيذ الجريمة

---

[١] والتى أهمها: الرجوع إلى الله تعالى، وترك المعصية والندم على فعلها والعزم على عدم العودة إليها مع إرجاع الحقوق إلى أصحابها، ولمزيد من التفاصيل حول التوبة النصوحة وشروطها راجع: التوبة إلى الله: ٢١-٢٣

أولا: المقصود بالجريمة والتشريع العقابي

الجريمة في الشرع هي: المحظورات الشرعية التي زجر الله تعالى الإنسان عنها، وعاقب عليها بجلد أو تعزير[١].

وقد **عرّف بعضهم الجريمة في الشرع بأنها:** "إتيان فعل محرّم مُعاقب على فعله، أو ترك واجب مُعاقب على تركه"[٢]

وبناء على ما سبق فقد تكون الجريمة: قتلا، أو زنا، أو قذفا، أو سرقة، أو غير ذلك من أفعال نهانا الله تعالى عنها، و**مرتكب الجريمة،** هو **الجاني** الذي قام بالفعل الإجرامى أو السلوك المنحرف، والذي أمر الله تعالى بمعاقبته، إن كان بالغا راشدا؛ لإضراره بنفسه وبمجتمعه.

والمقصود بالتشريع العقابي: الحدود والتعزيرات، **أي:** الزواجر التي وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر منه[٣]؛ لإصلاح البشر، وحمايتهم من المفاسد، وكفّهم عن المعاصي، وحثهم على الطاعة، وبما أن المشرع أحد، فالتشريع العقابي موجود في جميع الكتب المنزلة.

وقد احتوت سورة يوسف على أكثر من جريمة، ارتكبت في حق يوسف عليه السلام في مراحل مختلفة من حياته، أهمها: تعريض حياته للخطر المحقق بإلقائه في غياية الجبّ، والتعدي على عرضه بالمراودة، ثم التآمر عليه وسجنه ظلما، وجل هذه الاعتداءات من الجرائم المنكرة، التي لها عقوبة حدّية في الشرع.

ثانيا: دوافع الجريمـــة

الدافع: هو المثير القوي الذي يدفع الفرد إلى تحقيق رغبة ما، أو هدف معين، فيقوم بعمل سلوك ما إرادي، والدوافع تختلف باختلاف الرغبة، فقد تكون الدوافع: اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، أو نفسية، أو غير ذلك[٤].

---

[١] انظر: الأحكام السلطانية، للماوردي: ٣٢٢

[٢] الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي: محمد أبو زهرة: ٢٥

[٣] انظر الأحكام السلطانية: ٣٢٥

[٤] لمعرفة المزيد من التفاصيل حول الدافع: انظر: علم النفس المعاصر: ١١٢-١٢٠

وما من جريمة ترتكب على وجه الأرض، إلا ولها دافع مؤثر، على من لديه استعداد للإجرام، فيسيطر على تفكيره ونفسه؛ حتى يرتكب سلوكه الإجرامي؛ لذا أمرنا المولى تعالى بمحاربة الدوافع المحركة للسلوك العدواني بتزكية النفس، وزجرها عن المعاصي والآثام، يقول تعالى: "**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**" [النازعات: ٤٠-٤١]، ويقول تعالى: "**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**" [الشمس: ٧-١٠].

وسوف أتكلم في السطور التالية عن دوافع الجريمة عند إخوة يوسف، وامرأة العزيز:

أ- دوافع الجريمة عند إخوة يوسف

ارتكب إخوة يوسف في حقه عليه السلام جريمتين، **الأولى:** الحسد والغيرة، **والأخرى:** إبعاده عن أبيه، وإن تطلب الأمر قتله، **وإن كانت الجريمة الأولى من الجرائم المستترة في النفس، ولا يعاقب عليها الشرع أو القانون**، إلا أن زيادة حدّتها في نفس صاحبها قد تؤدي إلا ارتكاب أكبر الجرائم المادية وأبشعها، فالحسد والغيرة من أكبر مسببات الجرائم، وبسببها أقدم إخوة يوسف على الشروع في قتل أخيهم وإبعاده عن أبيه، وبالتالي جلبوا لأبيهم الهم والحزن والأسف على فقد أحبّ أبنائه إليه.

والدافع للجريمة عند إخوة يوسف هو: الحسد[١] والغيرة، اللذين تولد عنهما الكره الشديد ليوسف، والرغبة في إبعاده عن أبيه وبيته ولو بقتله، أو طرحه في أرض مجهولة بعيدة من العمران؛ لظنهم أنه استحوذ على حبّ أبيهم[٢]، ولتوهمهم بأنهم سيفوزون بحبّ أبيهم وعنايته بعد التخلص منه.

---

[١] والحسد يصدر عن انفعال نفس الحاسد عند رؤية المحسود، فيدفعه إلى تمني زوال النعمة منه؛ إذ إن غاية الحاسد أن يُعدم الأفاضل فضلهم، لمعرفة المزيد عن الحسد وأضراره، انظر: الحسد في ضوء الكتاب والسنة: ١٥ وما بعدها.

[٢] **ذكر بعض المفسرين أن** يعقوب عليه السلام كان يؤثر يوسف عليه السلام على إخوته في المحبة؛ وعللوا ذلك بأسباب عديدة: كصغر سنه، وفقده لأمه، وربما لعلمه بما سيكون له من شأن عظيم بسبب رؤيته، انظر: تفسير الرازي: ٤٢٣/١٨، وأعتقد أن هذا الرأي غير صحيح، وسوف أتحدث عنه في المبحث الرابع في الدروس والعبر المستوحاة.

وقد تمكن **الحسد** من نفوس إخوة يوسف، فأوغر صدورهم، وسيطر علي عقولهم وإنسانيتهم، إلى أن دفعهم إلى الاتفاق على ارتكاب أكبر الجرائم المتعلقة بالدماء، وهي قتل النفس التي حرّمها الله إلا بالحق، مع وصفهم لأبيهم (وهو نبي) بالضلال المبين؛ لأنه أحب يوسف وأخاه أكثر منهم وهم أنفع له منهما في أمر دنياه ومعاشه[١]، ويصور المولى تعالى موقفهم هذا بقوله: "**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**" [يوسف: ٨-٩].

وإذا كان الشر يتلون في النفس البشرية بأشكال عديدة؛ فإن الحسد والغيرة من أشد تلك الأشكال خطرا على الأفراد والمجتمعات؛ لِما يبثان من أحقاد في النفوس وضغائن؛ ولِما يتولد عنهما من **العجب والكبر** الكفيلين بقطع الروابط الإنسانية وهدم الأسر، وهذا ما حدث لإخوة يوسف؛ إذ أدى بهم الحسد والغيرة إلى رؤية أنفسهم أعظم من يوسف وأخيه (بكثرة عددهم)، ويتجلى ذلك من قولهم: "**ونحن عصبة**"[٢]، وما أشبه قولهم هذا بقول إبليس اللعين لخالقه تعالى، عندما أمره بالسجود لآدم عليه السلام: "**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ**"، وهكذا يكون حال المتكبر، "**يستعظم نفسه ويستحقر غيره**"[٣]، فلبئس مثوى المتكبرين.

وقد سيطرت رذيلتا الحسد والغيرة من نفوس إخوة يوسف؛ لدرجة أن عطّلت عقولهم، وألغت مشاعرهم، فتشوهت الحقائق أمامهم، وصورت لهم أنفسهم أن يوسف هو سبب معاناتهم، وأن أباهم لن يشعر بقيمة وجودهم؛ إلا إن بعد عنه يوسف نهائيا، وهم بذلك قد تخطوا مرحلة الكره بالمشاعر والأحاسيس، إلى مرحلة التفكير الفعلي لارتكاب جريمة تخلصهم من يوسف.

---

[١] انظر تفسير البغوي: ٤٧٧/٢

[٢] والعصبة من الناس: هم عشرة فصاعدا، وقيل: إلى خمسة عشرَ، ليس لها واحد من لفظها، كالنَّفر والرهط، انظر: جامع البيان: ٥٦٣/١٥

[٣] إحياء علوم الدين: ٣٤٦/٣، ولمعرفه المزيد عن صفات المتكبرين وأنواعهم، راجع إحياء علوم الدين: ٣٤٤/٣ وما بعدها

ولا شك أن التعدي على النفس بغير حق، جريمة نكراء تستوجب القصاص[١]، **ولا سيما أن: القصد الجنائي**[٢] في جريمة إخوة يوسف كان متعمدا، وقد ظهر ذلك التعمد في عزمهم على إبعاد يوسف عن أبيه، وإيقاع الضرر به، وإن استوجب ذلك قتله[٣]، وقد أقدموا على فعل تلك الجريمة النكراء، وهم يعلمون عظم وزرها[٤]، وكيف لا يعلمون وهم أبناء نبي، ويؤكد ذلك أنهم اتفقوا على إصلاح دينهم بالتوبة[٥] بعد إبعاد يوسف عنهم، فأي صلاح يقصدون، وأيّة توبة يعنون[٦] بعد أن قرروا ارتكاب أبشع الجرائم وأكبر الكبائر، ألا وهي قتل أخيهم بغير حق؟!

ومما يؤسف عليه أن إخوة يوسف جميعهم اتفقوا على التخلص من يوسف؛ لكنهم اختلفوا في الوسيلة، فبعضهم[٧]، نهى عن قَتْله، واقترح عليهم إلقاءه في البئر؛ ليواجه مصيرا آخر غير القتل، فالشر لا يمكن أن يكون موضع إجماع، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**" [يوسف: ١٠].

ب-دوافع الجريمة عند امرأة العزيز

---

[١]) إذ إن من مقاصد الشريعة حفظ الضرورات الخمس، أو الكليات الخمس، وهي (الدين والنفس والعقل والعرض والمال)؛ وذلك لأن مصالح الدين والدنيا تقوم عليها؛ إذ إنها إن فقدت، فُقِد نظام المجتمع، وحلت فيه الفوضى، فحياة الناس لا تستقيم إلا بسلامتهم.

[٢]) والمقصود **بالقصد الجنائي:** تعمد إتيان الفعل المحرم مع العلم بتحريمه؛ وهذا لا يكون إلا في جرائم العمد، انظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي: ٤٠٩/١

[٣]) والقتل من أخطر الجرائم؛ لذا أوجب الله تعالى فيه القصاص؛ محافظة على قداسة النفس، فمن علم أنه لو قتل سيقتل، فإن ذلك سيردعه عن التطلع للتفكير فيه.

[٤]) ويدل على ذلك قولهم لأبيهم: **"قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ"** [يوسف: ٩٧]، أي: متعمدين للذنب؛ لأن الفعل: (خَطِئَ يَخْطَأُ خِطْأً) يقال: عند تعمد الذنب. فهو خَاطئ. والخطيئة منه، انظر: غريب القرآن: ٢١٥

[٥]) وقد ذكر الإمام الماوردي أنهم أرادوا صلاح الدنيا بصلاح شأنهم عند أبيهم لا صلاح الدين، انظر: النكت والعيون: ١١/٣

[٦]) وهذه ليست توبة، فالتوبة لا تكون إلا من الخطيئة التي يندفع إليها المرء غافلاً أو جاهلاً، حتى إذا تذكر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة. أما التوبة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالمها، فليست بالتوبة، إنما هي تبرير لارتكاب الجريمة يزينه الشيطان، انظر: في ظلال القرآن: ١٩٧٣/٤.

[٧]) وقيل إنه أكبر إخوته، وقيل إنه ابن خالة يوسف، انظر: جامع البيان: ٥٦٥/١٥

ارتكبت امرأة العزيز في حق يوسف عليه السلام جريمتين أيضا، الأولى: المراودة[١]، **والأخرى:** اتهام يوسف بمراودتها؛ وذلك عندما فوجئت بوجود زوجها عند الباب، وإن كانت الجريمة الأولى من الجرائم المتعمدة، فإن الجريمة الأخرى لم تتعمدها امرأة العزيز؛ إذ لم تخطط لاتهام يوسف بمراودتها، ولكن الموقف الذي تفاجأت به، هو الذي دفعها لاتهامه.

والدافع للجريمة عند امرأة العزيز هو: الدافع الجنسي، الذي سيطر على سلوكها بصورة غير سوية، فغيّب عقلها، ودفعها إلى ارتكاب أعظم الجرائم المتعلقة بالشرف وأحمقها، ولعل من أسباب ذلك الدافع، ما ذكره بعض المفسرين[٢] من أن زوجها كان لا يأتي النساء، وهي امرأة حسناء جريئة، وأن يوسف عليه السلام قد أُعطي من الحسن والجمال ما لم يعطه أحد قبله ولا بعده، فطمعت فيه ودعته إلى نفسها.

والدافع للجريمة الأخرى: هي دفع الشبهة عنها؛ خشية الفضيحة، وللانتقام من يوسف لهروبه منها في الوقت ذاته.

وهكذا نجد أن القصد الجنائي في جريمة امرأة العزيز كان متعمدا، وإن كان التعمد في مثل تلك الحالات يُعد قصدا خفيا؛ إلا أنه قد ظهر من خلال تصرفاتها الظاهرة، والتي دلت على وجوده؛ فامرأة العزيز تعمدت دعوة يوسف عليه السلام إلى الزنا صراحة، ويؤكد ذلك قول **بعض المفسرين إن:** همّ امرأة العزيز هو: عزمها على المعصية والزنا[٣]، **أي أن همّها:** همّ قصد واعتقاد؛ لأنها كانت مصرة على الزنا[٤]، ويبدو أن هذه المراودة لم تكن الأولى بالنسبة لامرأة العزيز، فلا يعقل أن تتجرأ امرأة على فعل ذلك في أول محاولة، ولا بد وأن تكون سبقتها

---

[١] **المراودة:** أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد، والمقصود من مراودة امرأة العزيز: طلبها ما تطلب النساء، انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٧٢٨، وانظر كذلك: عمدة الحفاظ: ١٤٠/٢، وهذه اللفظة من بلاغات الأسلوب القرآني، وشفافية ألفاظه الراقية غير الخادشة للحياء.

[٢] وقد روي الماوردي هذا القول عن محمد ابن إسحاق، وهو من الإسرائيليات التى سكت عنها شرعنا الحنيف، وقد ذكرته للاستئناس، ولبعده عن العقائد والأحكام، وإن كان هذا القول إن صح لا يبرر فعل الفاحشة، إلا أنه سبب منطقي؛ ولا سيما أن العزيز وامرأته لم ينجبا، ولم يثبت أن العزيز كان منجبا من غيرها، ولعل هذا يقسر لنا سبب جراءتها عليه وتبجحها، ولمعرفة آراء بعض المفسرين في تلك الدوافع، انظر: تفسير الماوردي: ٢٢/٣، وانظر كذلك تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٤، وما بعدها.

[٣] انظر: تفسير القرآن للسمعاني: ٢١/٣، وانظر كذلك تفسير البغوي: ٤٨٤/٢

[٤] الجامع لأحكام القرآن: ١٦٦/٩

محاولات أخرى لإغواء فتاها؛ ولكنها لم تكتمل؛ لذا تعمدت هذه المرة إجبار يوسف على الخضوع لها بشتى الطرق، بدليل أنها غلّقت الأبواب؛ كي لا تدع له منفذا للهروب.

وأرى أن امرأة العزيز كانت على علم بعظم فاحشتها، فقد عاشت في المجتمع المصري، الذي كان يحمل بذور الإيمان في ذلك الوقت، لقرب عهده بنبي الله **إبراهيم** عليه السلام، الذي عاش فترة من حياته بمصر، وتزوج من السيدة هاجر المصرية، أمّ ابنه **إسماعيل** عليه السلام، ويفهم ذلك من عبارات التوحيد التي وردت على ألسنة بعض الشخصيات في سورة يوسف، من مثل قول العزيز لها "**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**"، وقول امرأة العزيز نفسها: "**ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**"، وقول نسوة المدينة: "**حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**"، وقد كان ليوسف عليه السلام دور كبير في تنمية تلك البذور الإيمانية في المجتمع المصري ورعايتها، بدعوته إلى عبادة الله الخالق الواحد[١]، وذلك عندما أصبح عزيزا لمصر.

*** وقبل أن أختم حديثي عن دوافع الجريمة أودّ الإشارة إلى أمرين:**

أولهما: أن الدوافع إلى الجريمة أيّن كانت، فهي لا تؤثر إلا في النفوس ضعيفة الإيمان، أمّا النفوس العامرة بالإيمان فلا تخضع لدوافعها الإجرامية، يقول ابن القيم: " الناس على **قسمين: قسم ظفرت به نفسه** فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها. **وقسم ظفروا بنفوسهم** فقهروها، فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم"[٢]، ومن ثَمّ فإن نهي النفس عن الهوى، هي نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة.

والأمر الآخر: أنه على الرغم من أن الجرائم بكافة أنواعها محرّمة في جميع الشرائع السماوية، والقوانين الأرضية؛ إلا أن الدين الإسلامي انفرد عن سائر الشرائع بتحريم السكوت على الجريمة أو الرضا عن مرتكبها، وعدّ ذلك في حدّ

---

[١]) لمعرفة المزيد راجع: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: ٦٣ وما بعدها، وانظر كذلك في ظلال القرآن: ٤/ ٦٧٧

[٢]) إغاثة اللهفان: ٢/٧٥

ذاته ذنبا كارتكاب الجريمة[١]، كما حرّم المولى تعالى: حبّ شيوع الجريمة فضلا عن ارتكابها، يقول تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" [النور: ١٩]، وما ذلك إلا لمحاصرة الجريمة، والحدّ من انتشارها، وهذا هو السرّ في انخفاض نسبة الجريمة في الدول الإسلامية عن سائر الدول غير المسلمة[٢]، ولعل من الأسباب التي ساعدت على ذلك دعوة المشرع الحكيم إلى معالجة دوافع الجريمة قبل وقوعها، فوقاية أسباب الجريمة خير دافع للإقلاع عنها، ومن ثم فقد نهى الرسول الكريم ترويع الناس أو تخويفهم، وذلك في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**»[٣]، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَبْلٍ، فَلْيَأْخُذْ عَلَى نِصَالِهَا، لاَ يَعْقِرْ بِكَفِّهِ مُسْلِمًا**»[٤]، ولعل السبب في ذلك هو القضاء على أسباب وقوع الجرائم؛ وبخاصة الجرائم المتعلقة بالدماء، أمّا إن وقعت الجريمة بالفعل، فلابد من عقاب المجرم.

ثالثا: التخطيط للجريمة

والتخطيط هو وضع الخطة التي يسير عليها الإنسان؛ ليحقق الهدف الذي عزم عليه، وسوف أتكلم في السطور التالية عن التخطيط للجريمة **عند إخوة يوسف، وامرأة العزيز:**

أ- تخطيط إخوة يوسف لجريمتهم

---

[١]) ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: **"لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ"**[آل عمران: ١٨١]، أنها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد، ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الأنبياء، لأنهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه؟؛ لكنهم كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء، فأضاف جل ثناؤه إليهم فعل ما فعله من قبلهم، انظر: جامع البيان: ٤٤٦/٧.

[٢]) انظر: (التقرير السنوي لمؤشر الجريمة العالمي لعام ٢٠١٦، المنشور على موقع موسوعة قاعدة البيانات " نامييو"، وقد نشرته كثير من المواقع ومنها هذان الموقعان:

http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/2016/12/11

http://www.alakhbar.com/node/269504

[٣]) صحيح مسلم: ٢٠٢٠/٤، حديث رقم (٢٦١٧)

[٤]) صحيح البخاري: ٩٨/١، حديث رقم (٤٥٢)

اتفق إخوة يوسف بعد نقاش وحوار بينهم على أن يتخلصوا من يوسف (كما سبق وأن ذكرت)، ففكروا في **قتله**، أو **تعريض حياته للخطر بطرحه أرضا** بعيدة غير مأمونة، ويبدو أن فكرة إلقائه في الجب لم تكن في تخطيطهم في البداية، إلى أن قال أحدهم: "**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**"[يوسف:١٠]، أي: يلتقطه بعض المسافرين، الذين يمرّون بهذا الجبّ، ويحملونه معهم إلى البلد الذي هم ذاهبون إليه؛ وبذلك ينتهي أمره، ولعله ذكرّهم بعظم جريمة القتل، فاستحسنوا رأيه، وكان قول هذا الأخ أحسن الآراء وأخفها، فبعض "الشر أهون من بعضه الآخر، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل"[1]، **ويبدو أن هذا الأخ** حاول أن يُثني إخوته عن إيقاع الأذى بيوسف، وذلك بأن يشككهم فيما عزموا عليه، فأبدى لهم عدم ارتياحه لتنفيذ ما عزموا عليه، ويؤكد ذلك قوله لهم: «**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**»، ولكنه لم يفلح.

وقد اتبع إخوة يوسف في تخطيطهم للتَّفريق بَيْن يوسف وأبيه عدة حيل، وهي:

- اختاروا مكانا بعيدا عن البيت والبلدة للتخلص من يوسف؛ وبذلك يضمنون ألّا يفتضح أمرهم عند أبيهم، ويقطعوا على يوسف محاولة الاستنجاد بأبيه أو بغيره في الوقت ذاته.
- احتالوا على أبيهم؛ ليسمح لهم باصطحاب يوسف معهم؛ وبذلك يستدرجون ضحيتهم إلى المكان المناسب لتنفيذ الجريمة، **واتخذ هذا الاحتيال عدة أشكال:**

١-ادّعاء حبهم ليوسف، ورغبتهم في إسعاده، والترويح عنه باللعب.

٢-تعهدهم أمام أبيهم بحفظ يوسف، وهم يضمرون التخلص منه.

وقد صور القرآن الكريم موقفهم هذا بقوله تعالى: "**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" [يوسف: ١١-١٢]، ففي قولهم: "**وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**" تعهد بالحفاظ عليه، أي: "إِنَّا

---

[1] تفسير السعدي: ٣٩٤

عَاطِفونَ عليه قَائِمون بمصلحَته نحفظه حتى نردّه إليك"[١]، ولعل في قولهم: "**مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا على يوسف**" في بداية حديثهم مع أبيهم: "**دليل على أنه أحسّ منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه**"[٢]، ولولا ذلك ما قالوا هذا القول، **وقيل إن:** "في الكلام تقديما وتأخيرا وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا، فقال يعقوب إني ليحزنني أن تذهبوا به، فحينئذ قالوا: مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون"[٣]؛ وما أغرب أن يتغيب عقل الإخوة العشرة، ويلعب الهوى برؤوسهم، ويجتمعوا على الكذب، كما اجتمعوا على الغيرة والحسد والغدر بأخيهم.

وعلى الرغم من أن يعقوب عليه السلام كان متوجسا منهم؛ لعلمه بحسدهم وغيرتهم من أخيهم، وقد أبدى لهم: (حزنه إن غاب عنه يوسف، وخوفه من أن يأكله الذئب إن غفلوا عنه) كما ذُكر في قوله تعالى: "**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ. قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ**" [يوسف: ١٣-١٤]، إلا أن (استعطافهم لأبيهم، ومحاولاتهم إقناعه، وإظهار قوتهم، وتعهدهم بحماية أخيهم) كان أقوى، وبالفعل نجحوا في تسديد الطرق أمام أبيهم، فلم يتمكن يعقوب عليه السلام من منع يوسف عنهم؛ وبذلك استطاعوا أن يستدرجوا ضحيتهم إلى مكان لا يستطيع أن يستنجد فيه بأحد، وهذا هو حال المجرم، يتفنن في أساليب الجدال والمحايلة؛ حتى يحصل على بغيته، والحذر لا يمنع من القدر.

* **وإلى هذا التوقيت،** لا يمكن أن نصف إخوة يوسف بالإجرام؛ لأنه لم يشرعوا في تنفيذ ما خططوا له، فلا تجريم ولا عقاب على ما يدور داخل النفس مهما بدا العزم قاطعًا؛ إذ إنه "لا خطورة من التصميم الإجرامي المجرد، لأنه يجوز لصاحبه أن يعدل عنه دون عائق قبل بدء التنفيذ"[٤]، والله تعالى لا يحاسب الإنسان على النية، إن لم يشرع في العمل.

---

[١] تفسير البغوي: ٤٧٨/٢

[٢] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٤٨/٢، وانظر كذلك التفسير الكبير: ٤٢٥/١٨

[٣] تفسير الخازن: ٥١٥/٢، وفى الآية "استفهام إنكارى، يدل على أنه قد كانت بينهم وبين أبيهم مواقف من قبل هذا الموقف، طلبوا إليه فيها أن يصحبوا معهم يوسف إلى حيث يسرحون بأغنامهم، فأبى عليهم ذلك، متعلّلا بالخوف عليه من أن يصيبه مكروه": التفسير القرآني للقرآن: ١٢٤٠/٦

[٤] مبادئ قانون العقوبات المصري: ٣٣٣

ب- تخطيط امرأة العزيز لجريمتها

عندما نفدت حيل امرأة العزيز في الإيقاع بيوسف عليه السلام في أحضان الرذيلة بالأساليب السلمية؛ إذ لم يُجدِ معه أسلوب الإغراء أو الإغواء، خططت لتدبير مكيدة ماكرة له، وظنت أنها ستبلغها ما أرادت، **فقامت بعدة حيل؛ لتسهل**

عليها تنفيذ جريمتها، وهي:

– تحديد المكان المناسب لها وهو مخدعها الخاص في بيتها الذي تعرف مداخله ومخارجه، وإغلاقه وإحكامه؛ وبذلك تضمن ألا يفتضح أمرها، وفي الوقت ذاته تتحقق لها الخلوة التامة بيوسف، دون أن يشك فيها أحد؛ لأن وجود يوسف عليه السلام في بيتها ومخدعها يُعد طبيعيا، فقد تربي في ذلك البيت واعتاد الدخول فيه، والخروج منه، منذ أن اشتراه زوجها وهو غلام.

– إحكام إغلاق الأبواب[١]، بعد دخوله مخدعها كما قال تعالى: "**وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ**" بالتشديد؛ وبذلك تطمئن ألا تفسد خلوتها بدخول زوجها عليها، أو دخول بعض الخدم، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ**" [يوسف: ٢٣].

رابعا: تنفيذ الجريمة

وهنا يبدأ الإجراء العملى لتحقيق الهدف، وسوف أتكلم عن هذه المرحلة عند إخوة يوسف، ثمّ عند امرأة العزيز:

أ- تنفيذ إخوة يوسف للجريمة

وبعد أن أقنع إخوة يوسف أباهم بحيلهم، وما أن أخذوا يوسف معهم، وغابوا عن عينيّ أبيهم، حتى قاموا بتنفيذ ما عزموا عليه، فبدأوا يهينون يوسف بالقول والفعل[٢]، وفي النهاية اتفقوا على إلقائه في غيابة الجب[٣]، يقول تعالى: "**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**" [يوسف: ١٥]، ولما سقط في قعر الجب "أوحَى اللَّهُ إليه: أَنه لابد لكَ مِن فَرَجٍ وَمَخرَجٍ مِن هذه الشِّدة الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، وَلَتُخْبِرَنَّ إِخْوَتَكَ بِصَنِيعِهِمْ هَذَا فِي حَالٍ أَنْتَ فِيهَا عَزِيزٌ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْك خائفون مِنْك"[٤].

---

[١] وكانت سبعة أبواب، وقد أغلقتها كلها؛ لأن مثل هذا العمل لا يؤتى إلا في المواضع المستورة، ولا سيما إن كان حراما، راجع: التفسير الكبير: ٤٣٨/١٨

[٢] ذكرى الطبري أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا ليوسف العداوة، وبدأ بعضهم يضربونه ويشتمونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب، فلم ير منهم رحيمًا، انظر: جامع البيان: ١٥: ٥٧٤، وانظر كذلك: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٤٩/٢

[٣] والمقصود بغيابة الجب: قعره، وقد سُمي بذلك لغيبوبته عن أعين الناظرين، والجبّ: البئر اغير البعيدة، انظر: لسان العرب (جبّ): ٢٥٠/١

[٤] قصص الأنبياء: ٣١٤/١

وبعد أن **نفذ إخوة يوسف** جريمتهم لطخوا قميصه بدم مفتعل من دمّ سخلة شاة[١]؛ حتى يحتالوا على أبيهم مرّة أخرى، ولكى يحبكوا كذبهم انتظروا إلى ظلمة الليل، ثم رجعوا إلى أبيهم عشاء[٢]، وهم يظهرون الحزن والبكاء؛ لخداع أبيهم، وإقناعه بأن الذئب قد أكل يوسف، في غفلة منهم وهم يتسابقون، وقد صور الله تعالى موقفهم هذا في قوله تعالى: "**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**" [يوسف: ١٦-١٨].

هذا وقد وقع إخوة يوسف في عدّة أخطاء كشفتهم أمام أبيهم، ومن ذلك:

- اهتزاز ثقتهم بأنفسهم، ويدل عليه الشعور الذي سيطر عليهم بأن أباهم لم يصدقهم، ويتجلى ذلك من قولهم لأبيهم: "**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**"، فيعقوب عليه السلام نبي، وأبّ في الوقت ذاته، يستطيع أن يعلم الصدق من الكذب في قول أولاده، وهاهم أولاده قد اتهموا أنفسهم قبل أن يتهمهم أبوهم، وكاد المريب أن يقول خذوني.

- استعجالهم في تنفيذ جريمتهم؛ إذ نفذوها بمجرد أن سمح لهم أبوهم باصطحاب يوسف معهم (كما هو ظاهر من قوله تعالى: "**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ**" [يوسف: ١٥] ، وهذا يدل على عدم حيطتهم، ولعلهم خشوا ألّا تواتيهم الفرصة مرة أخرى.

- ادّعاؤهم أن الذئب قد أكل يوسف، الأمر الذي حذرهم منه أبوهم عندما طلبوا منه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف معهم، وكانوا حينها يتهكمون من قوله؛ ويفتخرون بعددهم وقوتهم، ويبدو أن يعقوب عليه السلام هو الذي لقنهم

---

[١] أى: ولد الشاة من المعز والضأن، ذكرًا كان أو أنثى، انظر: جامع البيان: ٥٧٩/١٥

[٢] أي: **"جَاءُوا فِي ظُلمَة الْعشَاء ليكونوا أجرأ على الِاعْتِذَار بِالْكَذِبِ"**، تفسير السمعاني: ١٤/٣، فالعين إذا التقت بالعين كشفت عن كثير من خفايا النفس، وقرأت ما لا يصرّح به اللسان، ولا تبوح به الكلمات؛ لذا يجرؤ الإنسان على أن يقول فى الظلام، ما لم يجرؤ على قوله فى النور، حين تلتقي العين بالعين، انظر: التفسير القرآنى للقرآن: ١٢٤٥/٦، وربما فعلوا ذلك؛ ليوهموا أباهم أنهم ظلوا يبحثوا عن يوسف، أو حاولوا إنقاذه إلى ذلك الوقت.

تلك الحجة عندما قال لهم: **(وَأَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ)**، "فَأَخَذُوا من فمّه هذه الكلمة، وجَعلوها عُذرَهم فيما فعلوه"[١].

وبتلك المؤامرة توهم إخوة يوسف أنهم تخلصوا مما ينغص عليهم حياتهم، ويفسد علاقتهم بأبيهم، وتخيلوا كذلك أنهم سينعمون بحياتهم، وأنى لهم هذا، فهل يمكن أن يفوزوا بحبّ أبيهم وقربه بعد تأكده من كذبهم وتضييعهم لأخيهم؟، وهل يمكن أن ينسى لهم أبوهم ما فعلوه بأحب أولاده إليه، مهما طال عليهم الزمان؟ بالطبع لا، وهذا ما حدث فعلا، فقد اتسعت الفجوة بينهم وبين أبيهم، وظلوا منغمسين في عقوقهم، إلى أن طلبوا الاستغفار من أبيهم في نهاية القصة؛ فالشر لا يمكن أن يرجى منه الخير، والعمل الطالح لا يمكن أن يكون طريقا للصلاح.

ولعل بكاء إخوة يوسف كان حقيقيا، كنوع من أنواع الندم، الذي يعقب الذنب، (مثلما ندم ابن آدم بعد أن قتل أخاه) ولكنه كان ندما مؤقتا، بدليل أنهم لم يعتذروا عن فعلتهم هذه إلا بعد أن ذكّرهم بها يوسف وانكشف أمرهم، كما أنهم لم يحاولوا استدراك الأمر، والرجوع لأخيهم لإنقاذه، ولم يحاولوا الاعتراف لأبيهم، فقد يصحو ضمير الإنسان، وما فائدة صحوة الضمير، إن لم يعقبه توبة نصوحة. ومن ثمّ فقد ذكر **بعض المفسرين أن:** بكاء إخوة يوسف كان مصطنعا ليس فيه حرقة الكبد وزفرة الصدر الكليم[٢].

وعلى ما سبق أرى أن إخوة يوسف ليسوا من المجرمين المعتادين على الإجرام، ويبدو أن الإجرام صفة غير متأصلة فيهم بدليل أنهم بكوا ولم يتباكوا، وربما ندموا على ما فعلوا، بدليل أنهم لم يحاولوا أن يتخلصوا من أخيهم الآخر الذي ذكروا أنه ويوسف أحب إلى أبيهم منهم[٣]، وربما حاولوا إرضاء أبيهم (وإن لم يعترفوا له بما فعلوه بيوسف)، ويدل على ذلك قولهم للعزيز: (قبل أن يعرفوا

---

[١] تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٤

[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن: ١٢٤٥/١٢

[٣] وربما كان سبب اجتماعهم على التخلص من يوسف كان علمهم برؤياه، فخشوا أن يعلو شأنه عليهم، فاتفقوا على التخلص منه، بينما يرى بعض الباحثين أن إخوة يوسف لم يحاولوا التخلص من أخيه كما تخلصوا منه؛ لأنه كان ابن سبع سنوات في ذلك الوقت، ولم يكن منه خطر عليهم، أو لم يكن له تأثير على أبيه، بعكس يوسف الذي كان هو الشغل الشاغل لقلب أبيهم وعقله، انظر: مؤتمر تفسير سورة يوسف، لعبد الله العلمي: ٣٠٣/١

أنه يوسف) خذ أحدنا مكانه، وكيف لا وهم أولاد نبي، تربوا في بيت نبوة، وقد تابوا واستغفر لهم أخوهم وأبوهم بعد أن اعترفوا بذنبهم.

ب- تنفيذ امرأة العزيز للجريمة

- استدرجت امرأة العزيز يوسف عليه السلام للدخول إلى مخدعها، وبالغت في إغلاق الأبواب جميعها؛ وبذلك تضمن محاصرته وحمله على الفاحشة، دون أن يجد مخرجا يفرّ منه كما سبق أن ذكرت.

- تهيأت بكامل زينتها لتغريه **بكل ما لديها من طرق:** السلطان والمال والجمال، ويفهم ذلك من قراءة "**هِئْتُ لَكَ**"، أي: أقبل وتعال فقد تزينت وتهيأت لك[١]، وهذه القراءة تصف الحالة التي كانت عليها امرأة العزيز، وترتيبها للقاء بيوسف عليه السلام.

- بدأت في مراودة يوسف عليه السلام بكل ما تحمله كلمة المراودة من معان وطرق متنوعة للإغراء، وقد وصل بها الأمر إلى أن دعته إلى الفاحشة النكراء صراحة بقولها: "**هَيْتَ لَكَ**"، أي: هلم وأقبل وتعال ونحو ذلك، وهي كلمة حث وإقبال[٢]، وكأن لسان حالها يغريه؛ ليسرع ويحظى منها بما لا يحظى أمثاله من أمثالها، فهو في مقام الخادم بالنسبة لها، وهي سيدة المكان، التي تتمتع بالنفوذ وحرية التصرف، دون الرجوع لأحد، وإن كان زوجها نفسه.

- ومع ذلك كله، فقد أعلن يوسف عليه السلام رفضه التام لفعلها، ورغب عنها، متلفظا بأبلغ لفظ، وأقوى حجة؛ إذ قال: "**مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**" [يوسف: ٢٣]، أي: اعتصم بالله أو ألجأ إليه، ثم يذكرها بزوجها الذي رباه وأحسن إليه، وأنه لا يمكن أن يقابل إحسانه له، بعمل الفاحشة في أهله.

ولعل في قول يوسف السابق توجيه وإرشاد لامرأة العزيز، لتراعي حق زوجها بألطف وجه، وفي الوقت ذاته أراد أن يقطع عليها محاولة هذا الأمر مرة أخرى،

---

[١] وهي قراءة مروية عن: هشام بن عمار بإسناده عن ابن عامر، انظر: السبعة في القراءات: ٣٤٧، وقد تجاوز القرآن الكريم وصف أحداث الموقف واكتفى بالفعل الدال على الحدث، بأسلوب عفّ راق، يليق بجلالة كلام المولى تعالى وعلو قدره، ولمعرفة المزيد راجع: قصص القرآن: ١٧ وما بعدها.

[٢] البحر المحيط ٢٥٦/٦

ولعل في اقتصار يوسف عليه السلام على القول السابق دون تصريحه بالامتناع "عمّا دعته إليه، إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته، وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا"[١].

– لم تستسلم امرأة العزيز بعد رفض يوسف الاستجابة لها، ولم ترتدع كذلك من هروبه منها فارا نحو الباب، وركضت خلفه لينفذ ما أمرته به بالقوة، وحاصرته بشتى الطرق؛ لدرجة أنها جذبته من دبره فقدّت قميصه، يقول تعالى: "**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ**" [يوسف: ٢٥].

–لم تيأس امرأة العزيز من الإصرار على نيل ما أرادت، ولم يمنعها من ذلك علم زوجها بأمر مراودتها، وتأكده من أنها هي المراودة، ولم يمنعها كذلك لوم نسوة المدينة لها على تلك المراودة؛ بل بلغت من الجراءة أن دعتهن في بيتها ودبرت لهن مكيدة؛ لتخفف من وطأة فضيحتها، وتسد عليهن منافذ الملامة، ولم تخجل من الاعتراف لهن بمراودتها؛ بل ازدادت إصرارا على نيل شهوتها، إلى حدّ أن هددت يوسف بالسجن إن لم يستجب لها، وقد صور الله تعالى موقفها هذا بقوله: "**قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**" [يوسف: ٣٢].

وهكذا يتضح لنا أن امرأة العزيز كانت **شخصية جريئة مسيطرة**، لا تخشى أحدا، تستخدم كل الأساليب للحصول على ما تريد، وفي الوقت ذاته **امرأة ضعيفة أمام شهوتها**؛ فرغم قوة شخصيتها، استسلمت لتحكم شهوتها، ولم تستطع مقاومة غريزتها؛ حتى أوقعتها في أحرج المواقف، **وهي أيضا امرأة ذكية وماكرة**، حاولت بذكاء أن تبعد الشبهة عنها؛ فعندما فوجئت بزوجها عند الباب، وقبل أن يسأل أو يستفسر عن شيء، سبقته بمكر ودهاء، وادّعت أن يوسف أراد بها سوءا؛ لتظهر أمام زوجها بمظهر المرأة العفيفة، المخلصة له في غيابه، ولم تكتف بذلك؛ بل طالبت زوجها بسجنه، أو تعذيبه عذابا أليما، دون أن تدع لزوجها فرصة للتفكير أو التحقيق في الأمر؛ حتى لا يكتشف الحقيقة، ويصور

---

[١]) محاسن التأويل: ١٦٥/٦

ذلك المولى تعالي بقوله: "**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**"[يوسف: ٢٥]، وهذا هو حال المجرم المعتاد على الإجرام[١]، **ولولا شهادة الشاهد لصدقها زوجها.**

وإلى جانب ما سبق فقد مكرت امرأة العزيز بنسوة المدينة اللاتي لمنها، ودبرت لهن مكيدة لتثأر لكرامتها حينما علمت بمكرهن، فقررت أن تواجه مكرهن بمكر مثله، وأن تكيد لهن مثلما كدن لها بحديثهن، وفي ذلك يقول تعالى: "**فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا**[٢] **وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**"[يوسف: ٣١]؛ وبذلك أفحمتهن، وأثبتت لهن أنهن لسن بأفضل منها؛ إذ جعلتهن يجرين بأنفسهن ما وجدته في نفسها من حبّ يوسف، فيالها من امرأة جمعت بين: الغواية والجراءة والجمال والقوة والذكاء والمكر والتوبة، فهي ليست امرأة عادية؛ بل نموذج فريد من النساء؛ لذا خلد الله تعالى ذكرها في كتابه للعبرة والعظة، كنموذج لقبوله **تعالى لتوبة عباده، وإتاحته الفرصة للعبد لكي يقلع عن ذنبه ويرجع إلى الطريق المستقيم، فأبواب الله مفتوحة أبدًا، وخزائن رحمته لا تنفد.**

* **أما عن يوسف عليه السلام** فقد استعصم بقوة، ولم يتنازل ولم يتهاون في أدنى أمر يخدش الحياء، فضلاً عن الوقوع فيما تريده منه تلك المرأة، وما زاده استمرار مراودتها له، إلا بُعدا عنها، ولم يقبل أيّ تنازل في هذا الأمر أبداً، على الرغم من علمه بقوة سيدته.

وقد استمر يوسف عليه السلام ثابتا على حيائه ويقينه، يواجه تهديد امرأة العزيز له، ويواجه كذلك تحرش النسوة (اللاتي قطعن أيديهن) به، وكيدهن

---

[١]) وهو إلقاء الخطأ على غيره؛ ليبعد عنه الشبهات، وهذا ما حذرنا المولى تعالى منه في قوله: **"وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"** [النساء: ١١٢].

[٢]) ولعل في الآية الكريمة على مدى تحضر المجتمع المصرى في الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت؛ لدرجة أن أشرافه كانوا يأكلون بالسكاكين.

له[١]؛ لدرجة أنه فضل السجن وما به من آلام وفقد للحرية، على التفريط في عرضه، أو التنازل عن عفته، فاختار أخف الضررين؛ ليهرب من الفتن، ويصور المولى تعالى هذا الموقف بقوله: "**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**" [يوسف: ٣٣].

ويوسف الصديق بموقفه هذا يذكرنا بالسبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، والذين منهم "**رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**"[٢].

ولا يفوتني في هذا المقام الإشارة إلى التجاوزات الخُلُقية في الطبقة الأرستقراطية؛ حيث الحياة المختلطة، وما يصاحبها من تحرر خُلُقي عند معظمهن، فهذه هي طبيعة حياة الترف في القصور في كل زمان ومكان، فوضع المرأة في الطبقة الأرستقراطية اليوم لا يكاد يختلف عن وضعها في عصر يوسف عليه السلام، من حيث عدم الاحتجاب عن الخدم، والتساهل معهم في اقتحامهم لخلواتهن، والسماح لأنفسهن بإقامة العلاقات المحرّمة معهم سرا، ولا ملامة إلا لمن يُفتضح أمرها، أو تجاهر بمثل تلك العلاقات.

كما **تمتاز المرأة في تلك الطبقة غالبا بالتسلط والتجبر**، وكثيرا ما يعبرن عن مشاعرهن بطريقة صريحة دون خجل أو حياء أو خشية من أزواجهن أو مجتمعهن، وإن وصل الأمر إلى التهديد وممارسة القهر على العاملين لديهن؛ لإرغامهم على ارتكاب الفاحشة، فحياة الترف في القصور لم تتبدل على مرّ العصور، في عدم الحرص على العفة، وإيجاد المبررات لما يقمن به من أعمال، وإن خالفت الشرائع والأعراف السوية، وما أشبه اليوم بالبارحة!!!

وهكذا يتجلى لنا قيمة تحريم ديننا الحنيف للخلوة بالمرأة الأجنبية[١]، فلا يحل للمرأة رفع الحجاب أو الاختلاء بالرجل الأجنبي؛ وإن وجدت الفوارق العمرية، أو

---

[١] ذكر القرطبي أن: كل امرأة منهن طلبت منه أن يقضي لها حاجته، مدعيه أنها خير له من سيدته، فقال يوسف: رب كانت واحدة فصرن جماعة؛ لذا استحب السجن على الخضوع لرغباتهن، انظر: تفسير القرطبي: ١٨٥/٩

[٢] صحيح البخاري: ١١١/٢، جزء من حديث رقم (١٤٢٣)

وجدت الفوارق الاجتماعية؛ كأن يكون خادما في بيتها؛ وبخاصة في زمننا هذا؛ حيث انتشار الفتن، وكثرة وجود الخدم في بيوت كثير من بلدان المسلمين، ولنأخذ العبرة في ذلك بما حدث في بيت العزيز.

[١]) وفي ذلك يقول رسولنا الكريم: **"لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ"**، سنن الترمذي: ٤٦٦/٣، والحديث صححه الألباني.

المبحث الثاني

حقوق المتهم

المجني عليه هو: من وقعت عليه الجريمة، أو مست ببعض حقوقه: البدنية، أو المالية، أو الاجتماعية، أو غير ذلك، وهو صاحب الحق الشرعي، الذي يجب أن يحميه القانون؛ لوقوع "الفعل الإجرامي عدوانا مباشراً عليه"[١].

هذا وقد ذكرت سورة يوسف بعض الحقوق المكفولة للمجني عليه، والتي منها:

- حق المتهم في الدفاع عن نفسه.
- حق المتهم في إظهار براءته على الملأ.
- حق المجني عليه في العفو عمّن ظلمه.

- **وسوف أناقش تلك الحقوق في الصفحات التالية:**

أولا: حق المتهم في الدفاع عن نفسه

لم يستطع يوسف عليه السلام الدفاع عن نفسه عندما عزم أخوته على إبعاده عن أبيه، وقرروا إلقاءه في غيابة الجبّ؛ ربما لصغر سنه، أو خوفه منهم.

أمّا عندما اتهمته امرأة العزيز بأنه أراد بها سوءا، ردّ على اتهامها له بكل قوة وشجاعة؛ إذ لم تلجم لسانه المفاجأة، ولم يخف من بطش العزيز، أو من سلطان سيدته، **وأعلن صراحة أمام الجميع**: أنها هي التي طلبت منه الفاحشة فأبى وفرّ بنفسه منها، بعد أن فشل في إبعادها عنه بكل ما أوتى من طرق عقليه حكيمة، ويصور المولى تعالى ذلك الموقف في قوله: "**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**" [يوسف: ٢٥-٢٦]، يقول الماوردي: إنها "لما برأت نفسها بالكذب عليه احتاج أن يبرئ نفسه

---

[١] شرح قانون الإجراءات الجنائية: ١٥٠

بالصدق عليها، ولو كفت عن الكذب عليه لكفّ عن الصدق عليها"[١]، فكان ردّ يوسف على هذا الاتهام الجريء قوله: «**هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي**»، فبهذه الكلمات القليلة الصادقة، دفع يوسف عنه تلك التهمة الظالمة التي رُمي بها، "وهكذا شأن أصحاب الحقّ، يجدون في الكلمة المرسلة على طبيعتها من غير حلف أو توكيد، ما يغني عن كل قول"[٢]

هذا وقد التزم يوسف عليه السلام بالأدب الجمّ، في دفاعه عن نفسه، فقال: هي راودتني، "وفي التعبير عنها بضمير الغَيبة دون الخطاب أو اسم الإشارةِ مراعاةٌ لحسن الأدبِ مع الإيماء إلى الإعراض عنها"[٣]؛ إذ لم يقل: **أنت راودتني**، حتى لا يكون متوجها بالخطاب إليها، **ولم يقل: هذه راودتني**، حتى لا يُتوهم أنه يحقر من شأنها أمام الحاضرين.

وأمام هذا الاتهام المتبادل، أصبح العزيز في حيرة من أمره ولم يعلم أيهما الصادق، ولكن الله تعالى جعل للحق علامات تُظهره، وأمارات تدل عليه؛ فانبعث شاهد من أهل بيت امرأة العزيز؛ ليشهد بقرينة، من وجدت معه، فهو الصادق؛ وبذلك حُسم هذا الموقف المحرج، وأنقذ يوسف عليه السلام من غضب العزيز عليه.

*** ولعل براءة يوسف عليه السلام في هذا الموقف كانت مؤكدة عند الجميع ويدل على ذلك:**

– **وصف المولى** تعالى له بالإخلاص، وذلك في قوله تعالى: "**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**" [يوسف: ٢٤]، إذ قرأت كلمة (المخلصين): بفتح اللام وكسرها[٤]، والقراءتان متفقتا المعنى، "وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو **مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة**، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا، فهو

---

[١] النكت والعيون: ٢٧/٣

[٢] انظر التفسير القرآني للقرآن: ١٢٦٠/٦

[٣] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٦٨/٤، وانظر كذلك نظم الدرر: ٦٧/١٠

[٤] والقراءتان صحيحتان؛ إذ قرأ: عاصم وحمزة والكسائي (المخلَصين): بفتح اللام، وقَرأ ابْن كثير وأَبو عمرو وابن عامر: بكسرها، انظر: السبعة في القراءات: ٣٤٨

ممن أخلصه الله"[١]، فقد أخلص يوسف عليه السلام دينه لله، فعصمه الله تعالى وصرف عنه السوء لإخلاصه.

– **شهادة الشاهد**، يقول تعالى: "**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**" [يوسف: ٢٦-٢٧].

وقد **اختلف المفسرون في الشاهد:** فقيل أنه كان صبيا في المهد أنطقه الله، وهذا ما رجحه الطبري[٢]، **وقيل:** هو رجل من خاصة الملك، **وقيل:** هو الحاكم، **وقيل:** الشاهد هو القميص المقدود[٣]، **وقيل:** إن الشاهد ابن عمّ لامرأة العزيز، "إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه"[٤] وسُمي قوله شهادة؛ لأنه **أدى مؤدى الشهادة** في أنه أثبت به صدق يوسف عليه السلام، وبيّن كذب امرأة العزيز.

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل ذلك الشاهد من أهل امرأة العزيز حتى لا يُقال: إنه انحاز ليوسف؛ ولأن هذا الشاهد من أهلها فقد بدأ أولا بما في صالحها، وهو حالة **أن يكون قميصه قد تمزق** من الأمام، وبذلك يكون التمزق نتيجة دفاعها عن نفسها وإقباله عليها، ثم ذكر **الاحتمال الثاني: وهو أن يكون** القميص تمزق من الخلف، وبهذا تكون هي التي راودته عن نفسه وجذبته إليها عندما حاول الهروب منها، ولما وجدوا أن قميصه تمزق من الخلف ثبتت براءة يوسف عليه السلام، وانكشف كذب امرأة العزيز.

– **شهادة العزيز نفسه؛** وذلك بعد أن أبصر أن قميص يوسف مقدود من الدبر، فتأكد من براءة يوسف عليه السلام؛ لذلك طلب منه أن يكتم الكلام في هذا الحدث، ولا يذكره لأحد حتى لا يُفتضح الأمر، احتراما لهيبته، وطلبا للستر على

---

[١] جامع البيان: ٥٠/١٦

[٢] ورجحه كذلك عدد غير قليل من المفسرين من مثل: القرطبي وابن كثير والشوكاني وغيرهم، وأعتقد أن هذا القول يخالف الصواب؛ لأنه إن كان صحيحا؛ لكان حدثا جللا يفوق حدث مراودة سيدة لفتاها، كما أنه لو حدث، لكان أولى بشغل اهتمام النسوة، ولما كان لقوله تعالى: "**من أهلها**" فائدة؛ لأن كلام الطفل في مهده إعجاز في حدّ ذاته، ولا يحتاج إلى تزكية شهادته بأنه من أهل المرأة. العزيز.

[٣] راجع جامع البيان: ١٠٥/١٣-١٠٩

[٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٥٩/٢

أهله، ويُفهم ذلك من قوله تعالى على لسان العزيز: "**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**" [يوسف: ٢٩]، **ولعل في ذلك دليل على ضعف شخصية العزيز**، ورخاوته في مواجهة فضائح أهل بيته الجنسية، وكأن كل ما يهمه هو المحافظة المظاهر الخاصة ببيته فحسب.

– **شهادة النسوة**؛ وذلك عندما سألهن الملك عن مراودهن ليوسف، فشهدوا له بالبراءة والعفة؛ وهو المفهوم ضمنيا من تنزيهه عن فعل السوء، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**" [يوسف: ٥١].

-**شهادة امرأة العزيز**: وجاءت في موضوعين: **الأول**: اعترافها بمراودتها ليوسف، وشهادتها بعصمته أمام نسوة المدينة؛ إذ قالت: "**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**"، وقول امرأة العزيز هذا: **اعتراف صريح بأنها هي المراودة**؛ ولكنه اعتراف بين نسوة لا يمكن أن يشهدن عليها؛ لأنهن لما رأينه أكبرنه وعذرنها، وتعلقن به لدرجة الذهول عمّا بين أيديهن، فلو شهدن عليها بعد ذلك؛ لوقع عليهن ما تستحقه امرأة العزيز من العقوبة.

والآخر: اعترافها أمام الملك بمراودتها ليوسف، يقول تعالى: "**قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**" [يوسف: ٥١]، وكأن محبتها ليوسف تحولت من المراودة إلى الاعتراف بالذنب، ثم الندم والاستغفار بعد ذلك.

*** وبناء على ما سبق تثبت براءة يوسف عليه السلام من كل ما رمي به،** بداية من الهمّ بالفاحشة، إلى أن سجن ظلما، وقد ذكر المولى تعالى في كتابه كل هذه الشهادات، تأكيدا على عصمة يوسف عليه السلام وبراءته، وبرهانا على سمو العدل الإلهي في نصرة المظلوم، مهما كانت قوة الظالم.

ثانيا: حق المتهم في إظهار براءته على الملأ

وكما أن **من حق المتهم أن يثبت براءته**، من حقه كذلك أن يعلنها على الملأ؛ إذ إن فرحة المظلوم لا تكون بالعفو عنه؛ بل بالتيقن من براءته بالأدلة القاطعة، وإظهارها على الملأ؛ حتى تظل صفحته بيضاء أمام الجميع دون أدنى

شبهة، وهذا **ما فعله يوسف الصديق،** عندما رفض الخروج من السجن عندما أمر الملك أن يأتوه به أول مرة، **إلا بعد أن ينكشف الأمر كله، وتثبت براءته،** وتزول عنه أي شبهة؛ وذلك حتى لا يُقال إن الملك أمر بخروجه من السجن لحاجته إليه، لا لاقتناعه ببراءته؛ لذا طلب يوسف من رسول الملك أن يرجع إليه؛ ليسأله عن شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن وخبرهن، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**"[١] [يوسف:٥٠]، وقد طلب يوسف ذلك؛ ليظهر براءة ساحته ولئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عند الملك، أو "يجعلوه سلّما إلى حطّ منزلته لديه، ولئلا يقولوا: ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم وجُرم كبير، حق به أن يسجن ويعذب"[٢].

ومن ذكاء يوسف عليه السلام أنه لم يضيع الفرصة السانحة له، حينما أصبح مطلوبا من الملك، لا طالبا له، ولم تُنسه فرحة الخلاص من السجن –بسنواته الطويلة– من أن يطلب التحقيق في التهمة التي علقت به، ومن ثَمّ رفض مغادرة السجن قبل أن يحقق الملك في أمر النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وما ذلك إلا لحرصه على أن تظل صفحته بيضاء نقية أمام الجميع، ولثقته ببراءته، وليقينه بأن الحق لا يخفى طويلا، ولعل في ذلك: "دليل على أنّ الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها"[٣] .

ومن كرم يوسف عليه السلام أنه: لم يذكر امرأة العزيز مع النسوة، مع أنها هي أصل الفتنة، والمتسببة في كل ما حدث له من سوء؛ وذلك وفاء لزوجها (عزيز مصر)، الذي آواه في بيته، وشمله برعايته، منذ أن كان صغيرا إلى أن شبّ وكبر في بيته، وهو يكرم مثواه ويأمر امرأته بذلك، وربما رحمة بتلك المرأة التى ربته وأحبته؛ لدرجة أن ملك حبه شغاف قلبها رغما عنها، وقد ذكر

---

[١] والمقصود بقوله: **"إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ"**: إنّ سيده الذي رباه (وهو العزيز) عالم ببراءته ممّا فعلته به امرأته؛ وذلك لتأكده منها بالدليل القاطع، عندما عاين قميصه، انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢٨/٥

[٢] محاسن التأويل: ١٨٤/٦

[٣] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٧٧/٢

الماوردي أنه ذكر النسوة دون امرأة العزيز؛ لأنه: "أرادهن دونها لأنهن الشاهدات له عليها"[١].

وبالفعل استجاب الملك لطلب يوسف عليه السلام، واستدعى امرأة العزيز ومعها النسوة، وحقق الملك في الأمر معهن، وسألهن: إن كن رأين من يوسف ما يريب؟ فبرَّأنه وشهدن بعفته، يقول تعالى: "**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ**"[يوسف:٥١].

ومن بلاغة القول إن النسوة لم تقل: ما رأينا عليه من سوء وإنما قلن: «ما عَلِمْنا عَليه مِن سُوء»: تأكيدا لطهره وعفّته، "فإنهنّ لم يرين منه ما يسوء ولم يعلمن من أمره ما يشين، سواء أكان ذلك معهن، أو مع غيرهن"[٢].

وعندئذ اعترفت امرأة العزيز بمراودتها ليوسف، وأقرت بصدق ما قاله، يقول المولى تعالى: "**قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**" [يوسف: ٥١-٥٢]، ويحتمل أن **المراد ب(ليعلم): هو العزيز**، ويكون المعنى: ليعلم زوجي أني حين أقررت بمراودة يوسف لم أخنه بالغيب، **أي:** لم يجرِ منِّي شيء سوى المراودة، ولم أفسد عليه فراشه، **ويحتمل أن يكون المراد بذلك: يوسف**، أي: ليعلم "حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني"[٣].

وقيل إن يوسف هو الذي قال ذلك، لمّا علم اعتراف امرأة العزيز بصدقه وعفته، ويكون المعنى: لِيَعْلَمَ العزيز "أنِّي لم أَخُنْه في زوجته بالغَيب في حال غيبتي عنه"[٤]، أي: أنه لم يتحدث عن زوجته -وهي عرضه-بشيء يخدش حياءه، أو يسيء إليه.

---

[١]) النكت والعيون: ٤٦/٣

[٢]) التفسير القرآني للقرآن: ١٢٨٥/٦

[٣]) تفسير السعدي: ٤٠٠، وأعتقد أن هذا هو القول الصحيح؛ لأن هذا التحقيق أجري مع امرأة العزيز والنسوة، ويوسف مازال في السجن، ويبدو أن الموقف أجبر امرأة العزيز على الاعتراف.

[٤]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢٩/٥

وبعد أن ظهر الحق وثبت، واستقرت الأمور، وانكشفت الحقيقة، في حضرة الملك والملأ، وبعد أن تيقن الجميع من براءة يوسف، أمر الملك أن يأتوا بيوسف إليه؛ ليستخلصه لنفسه، فذهب إليه يوسف وهو نقي العِرض، متوجا بانتصار العفة، مرتفعا فوق أي شبهة؛ لذا طلب من الملك وبكل ثقة –بعد محاورتهما في أمر البلاد–أن يجعله على خزائن الأرض، فالأمين على العرض أمين على ما هو دونه.

وهكذا يعلمنا يوسف عليه السلام أروع الأمثلة في الحرص على السمعة الطيبة، واستشعار قيمة الكرامة والطهر والعفة؛ إذ إنه لو خرج من السجن بالعفو الملكي، فربما بقي أثر ما اتهم به في نفس الملك، **ولعل في التماسه من الملك أن يحقق في أمر تهمته دليلا قاطعا على براءته،** وعلى أن كل ما قيل فيه كذب وبهتان، وفي الوقت ذاته ضمان لعدم خوض أحد من أعدائه في عرضه بعد خروجه، وفي ذلك دليل عظيم على صبر يوسف وثباته وقوة إيمانه.

ولعل في ذلك علامة على قوة شخصية يوسف، وصدق إيمانه؛ إذ لم يخف من مواجهة سيدته؛ بل وفي نسبة فعل السوء إليها، وهو كالخادم بالنسبة لها، فهذه هي عفة المؤمن وقوته في الحق التي افتقدناها كثيرا في تعاملاتنا؛ فالمؤمن الحق يفرّ من أى دعوة للفاحشة فراره من الأسد بل أشد، ولا يخاف في الحق لومة لائم، ولو كان أمام سلطان جائر، ومن كانت هذه صفاته، فلا بد أن يحالفه النصر، فها هو يوسف السجين، يرفعه الله من السجن وضيقه، إلى رحاب الملك وسعته، بل ويهبه فيه القوة والتمكين، جزاء عفته وإحسانه، يقول تعالى: "**وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**" [يوسف: ٢٢].

ثالثا: حق المجني عليه في العفو عمّن ظلمه

من كرم يوسف عليه السلام أنه عفا عن إخوته، الذين ظلموه وحاولوا قتله، ويتجلى ذلك في أكثر من موقف، **ومن ذلك:**

- **إحسانه إلى إخوته ومساعدتهم**

ويتجلى ذلك حين جاء إليه إخوته يطلبون منه الصدقة في سنوات القحط، مع الوفود التي جاءت إلى مصر يلتمسون الميرة (وهي الطعام المجلوب من بلد غير بلدهم)، فقد أحسن يوسف إنزالهم وضيافتهم، وأوفى لهم الكيل[١] تفضلا عليهم، وفوق ذلك فقد جهزهم بما يحتاجون في سفرهم من زاد وماء، وأمر فتيانه بوضع بضاعتهم في رحالهم، كرما منه ومروءة، ومبالغة في الإحسان إليهم، فهم إخوته وأخذ ثمن الطعام منهم مع شدة حاجتهم يتنافى مع المروءة، وقد أراد يوسف عليه السلام أن يحسن إليهم على وجه لا يلحقهم فيه لوم ولا عيب[٢]، وربما فعل ذلك حتى يجبرهم على الرجوع مرة أخري؛ لردّ البضاعة، التي هي ثمن الطعام الذي أخذوه، ظنا منهم أنها بقِيت في رحالهم نسياناً؛ وبذلك تصبح أمانة عندهم يجب عليهم ردّها تورعا، ويصف المولى ذلك الموقف **بقوله تعالى:** "**وَجَاءَ إِخوة يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ. وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ. فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ. قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ. وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**" [يوسف:٥٨-٦٢].

ولعل من أمانة يوسف الصديق أنه كان يتابع بنفسه أمر بيع الميرة؛ حفاظا على أقوات الناس، فكل من يأتي مصر للشراء يدخل علي مجلسه أولا، **بدليل أن:** إخوته عندما جاءوا للشراء، دخلوا عليه فعرفهم ولم يعرفوه، ربما لأن الفترة بين أن قذفوه في البئر، وبين دخولهم مصر كانت طويلة، فقد كان وقتها صغيرا، **وقيل:** لأنّه كان متزينا بزيّ فرعون مصر، وجالسا على سريره، وفي عنقه طوق من ذهب، وعلى رأسه تاج، فلذلك لم يعرفوه؛ لأنه لم يظنوا أن يصل إلى هذا المنصب إن لم كان ما زال حيّا[٣].

---

[١] وكان يوسف لا يحمل للرجل إلا بعيرًا واحدًا، تقسيطًا بين الناس، ولما قدم إخوته أجزل لهم العطاء أكثر من غيرهم، توسيعًا عليهم وعلى أبيه، انظر: جامع البيان: ١٥٣/١٦-١٥٤

[٢] ولمعرفة المزيد من الأسباب التى جعلت يوسف يأمر بوضع بضاعة أخوته في رحلهم، انظر: جامع البيان: ١٥٧/١٦-١٥٨، وانظر كذلك: التفسير الكبير: ١٨/ ٤٧٩

[٣] وقيل إن تلك الفترة كانت أربعين سنة، انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٥/ ٢٣٤، وانظر كذلك تفسير القرآن للسمعاني: ٤٣/٣

ومن ذكاء يوسف عليه السلام أنه استدرج إخوته في الكلام؛ حتى كشفوا له عن هويتهم على وجه التفصيل، وأخبروه بأنّ لهم أخاً أصغر منهم من أبيهم لم يحضر معهم، فأوفى لهم الكيل بأن أعطاهم حملاً زائداً لأخيهم، ولما جهزهم باحتياجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا، ولما ذكروا له أن الأمر ليس ميسوراً؛ لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه، هددهم بمنع الكيل لهم بعد ذلك، وشرط عليهم أن يأتوه به، كما حذرهم من دخول مصر بدونه، كما يفهم من قوله تعالى على لسان يوسف: "**فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ** "[١]، فوعدوه ببذل كل جهدهم لإقناع أبيه بإرساله معهم.

- **التغاضي عن هفواتهم**

وقد تجلى ذلك في كتمه لغضبه عندما ذكروه بسوء، وقت أن استخرجت السقاية من رحل أخيه؛ إذ قالوا: "**إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**" [يوسف: ٧٧]، وهم يقصدون ب **(أَخٌ لَّهُ)**: يوسف، ولكن يوسف عليه السلام بحلمه احتمل تلميحاتهم، التي تحمل في ثناياها بقايا الأحقاد القديمة في أنفسهم، وتبين مدى شرهم، ولم يبد لهم وقع تلميحاتهم الخبيثة من نفسه.

- **التماسه العذر لهم**

فعلى بالرغم من كل ما فعله إخوة يوسف به، فقد **تلطف بهم في أثناء عتابه لهم**، لدرجة أنه قدّم لهم ما يعتذرون به، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ**" [يوسف: ٨٩]، ومن يقترف إثما وهو جاهل بعواقب ما فعل، أخف ذنبا ممن فعله وهو على علم بعواقبه، وكأن يوسف عليه السلام يعتذر نيابة عنه إخوته[٢]؛ ليخفف الأمر عليهم، تمهيدا للصفح عنهم، وقبول اعتذارهم.

---

[١] ولعل في الآية دليلٌ على أنهم كانوا على نية الرجوع للامتيار مرة بعد أخرى، وأن ذلك كان معلوماً لدى يوسف عليه السلام، انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٨٩/٤

[٢] ولو ضرب إخوة يوسف في طرق الاعتذار لم يلقوا عذرا كهذا، وهذا ما اعتذر به موسى عليه السلام عن نفسه عندما قال: "فَعَلْتُها إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ" [الشعراء: ٢٠]، "انظر: تفسير القاسمي: ٢١٣/٦

ولعل في نسبة يوسف خطأ إخوته إلى الجهل، صفح كريم منه، وتسامح أخوىّ لا مثيل له. وهذه الآية تصديق لقوله تعالى: "**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**" [يوسف: ١٥]

ويتجلى تلطف يوسف بإخوته والتماسه العذر لهم في موقف آخر، وذلك عندما استقبل أباه وإخوته في مصر، وقابل أبويه مرحبا بهما، وفرحا بتأويل رؤياه تأويلا ملموسا، فقد نسب حينئذ ما فعله إخوته به إلى نزغ الشيطان، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**" [يوسف: ١٠٠]

والمقصود بنزغ[1] **الشيطان في الآية:** ما أفسده الشيطان فيما بين يوسف، وبين إخوته من عاطفة الإخوة، وقطع ما بينهما من وشيجة الرحم، وتهييج نوازع الحسد والغيرة في نفوسهم، وقد أحال يوسف ذنب ما فعله إخوته به إلى نزغ الشيطان؛ حتى يبرئ ساحة إخوته مما فعلوه به، ويُلقي بالخزي واللوم على الشيطان؛ وذلك من شدة كرمه ولطفه بإخوته؛ وبذلك أغلق بكرمه باب اللوم والعتاب، ليبدأ مع إخوته عهدا جديدا.

- **قبوله اعتذارهم والعفو عنهم**

لما رأي إخوة يوسف عظيم سلطان يوسف، وما فضله به الله تعالى عليهم من تقوى وعلم وجاه وحلم، اعترفوا بذنبهم وخطئهم في حقه، وطلبوا العفو والصفح منه؛ لتفريقهم بينه وبين أبيه، يقول تعالى: "**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**" [يوسف: ٩١]، وهنا يظهر معدن الكريم ابن الكريم، فيقابل اعتذارهم بالصفح والعفو، وينهي هذا الموقف المخجل سريعا، وهكذا ينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح في الابتلاء بالشدة من قبل، فيزداد إحسانا، ويزداد إخوته خزيا وخجلا أمام مقابلته إساءتهم بالإحسان، وجهلهم بالحلم، وبطشهم بالكرم، ولعل التسامح يصلح فساد القلوب.

---

[1]) ومعنى نزغ: أغرى وأفسد ونخس في قلب الإنسان، أي: ألقي في قلبه ما يدفعه إلى المعاصي، انظر: لسان العرب: ٤٥٤/٨

وبمجرد أن اعترف إخوة يوسف بذنبهم، عفا عنهم مع قدرته على الانتقام منهم، وبادر بالاستغفار والدعاء لهم الرحمة، دون أن يطلبوا منه ذلك، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**" [يوسف: ٩٢]، و**التثريب:** التبكيت والتوبيخ والتعيير واللوم[١]، أي أن يوسف: صفح عنهم بلا تثريب، وهذا هو الصفح الجميل، الصفح الذي لا يعقبه أي نوع من أنواع العقوبة؛ بل يعقبه دعاء للظالمين؛ **ولعل يوسف سارع بالعفو عن إخوته؛** حتى لا يعكر صفو حياته بالانتقام؛ وتعجيلا للسرور بالنعمة الجديدة التي جعل الله أمرها بين يديه، وعلى كل الأحوال فذلك لا يمكن أن يصدر إلا من الأخ الكريم، المحب لإخوته، المتسامح في حقوقه وهذا هو غاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من المصطفين الأخيار، وكأن يوسف كان منتظرا أن يعترف إخوته بخطئهم؛ حتى يقول لهم: "لا مؤاخذة لكم ولا تأنيب اليوم، فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور، والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين"، وإن كان يوسف لم يَلم إخوته وهو في قمة غضبه منهم في يوم مواجهته لهم بخطئهم في حقه، فلا يمكن أن يظهر لهم غضبه بعد ذلك اليوم، ومن ثمّ فقد **استنبط بعض المفسرين أن:** طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها إلى الشيوخ[٢].

وبذلك تتجلى قيمة العفو المصحوب بالكرم، وهو العفو الذي يعقبه تلطف بالمخطئ، والتماس العذر له، كما فعل يوسف مع إخوته؛ فكأنه كان يواسيهم برفع الخجل عنهم، فما أعظم الصفح الجميل!!!.

* **ولعل الله تعالى قد غفر لإخوة يوسف؛** لأن يوسف **صاحب الحق:** صفح عن حقه وعفا عنهم عندما اعترفوا بجريمتهم[٣]، والله أرحمُ الرَّاحِمِينَ يغفر الصغائر والكبائر، ويتفضل على التائب بالرحمة والمغفرة.

---

[١]) انظر: لسان العرب: ٢٣٥/١

[٢]) وهو قول عطاء الخراساني، انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: ١٢٣/٤

[٣]) وذلك لأن حق الحياة من الحقوق المشتركة بين الله والناس، وحق الناس فيها غالب، وحقوق العباد ليست ذنوبا تكفّر بالاستغفار، وعليه فلابد من استحلال العباد في حقوقهم أو ردها إليهم، راجع: الفواكه للدواني: ٣١٧/١

ومن الطريف أن يوسف عليه السلام لم يسعَ للانتقام ممن ظلمه، ولم يستغل ضعف إخوته وحاجتهم إليه، لكنه اكتفى بإبداع الخالق في الانتقام من الظالم ونصرة المظلوم، فسرعان ما تبدلت الأقدار وانقلبت الموازين، فأصبحت اليد التي ألقت بيوسف في الجب، هي اليد ذاتها التي جاءته؛ لتسأله الصدقة؛ بل وتستجديه أن يوفي لها الكيل.

****

وكما اعترف إخوة يوسف بخطئهم أمام يوسف اعترفوا بخطئهم لأبيهم، لكن أباهم لم يبادر بالاستغفار لهم كما فعل يوسف؛ بل سوفهم ولم يستغفر لهم في الحال، ويتجلى ذلك يقول تعالى: "**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**" [يوسف: ٩٧-٩٨]، ولكنه وعدهم بأنه سوف يتوجه إلى ربه فيما بعد، ويطلب لهم الغفران منه، وطمأنهم بأن ربه واسع المغفرة والرحمة؛ كي لا ينقطع رجاء المؤمن وإن ظلم وأساء.

وقد اختلف المفسرون في الحكمة من تسويف استغفار يعقوب عليه السلام لبنيه، على عكس ما فعل معهم يوسف عليه السلام على أقوال منها[١]:

١- أن يعقوب عليه السلام أجل الدعاء والاستغفار لهم إلى وقت السحر[٢]؛ ليكون أقرب إلى الإجابة، وقيل أجله إلى ليلة الجمعة، وهي أكثر الأوقات استجابة.

٢-أن يعقوب عليه السلام أراد أن يتأكد من توبة بنيه، ومدى إخلاصهم فيها؛ وبخاصة أن ذنبهم عظيم، ومضى عليه زمن بعيد.

٣-أن حال يعقوب عليه السلام مع بنيه حال المربّى المرشد للمذنب، وليس من حسن التربية أن يظهر لهم أن ذنبهم هيّن لديه، يمكن أن يُغفر ببادرة من الندم؛ لذا لم يعجّل بإجابة مطلبهم بالاستغفار لهم؛ ليشعروا بعظيم جرمهم.

---

[١]) انظر: جامع البيان: ٢٦٢/١٦، وللمزيد راجع التفسير الكبير: ٥٠٩/١٨، وتفسير القرطبي: ٢٦٣/٩، وتفسير المراغي ٤٠/١٣-٤١

[٢]) وهذا القول رواه معظم المفسرين، وذلك لما روي عن ابن مسعود من أن: "**يَعْقُوبَ أَخَّرَ بَنِيهِ إِلَى السَّحَرِ**"، انظر: المعجم الكبير، للطبراني: ١٠٤/٩، جزء من حديث رقم: (٨٥٤٧).

٤-أن ذنبهم كان موجها إلى يوسف، ثم إلى يعقوب بالتبعية واللزوم، وليس من العدل أن يستغفر لهم يعقوب إلا بعد أن يعلم حالهم مع يوسف، ولم يكن يعقوب قد علم بعفو يوسف عنهم واستغفاره لهم.

• ومع وجاهة الآراء السابقة، أعتقد أن نفس يعقوب عليه السلام لم تكن صافية في ذلك الحين لبنيه، وكأن قلبه ما زال مكلوما من آثار ما فعلوه بأحب أولاده إليه؛ لذا فقد كان بحاجة إلى بعض الوقت كي تسكن نفسه، ويستريح قلبه، كما كان بحاجة لإظهار قوته أمام أولاده، وبخاصة بعد أن عاينوا الضعف الذي حلّ به، من شدة ما عانى من آلام نفسية وأحزان لسنوات طويلة بسبب جريمتهم، ومن ثَمّ فقد رأى يعقوب عليه السلام، أنه من الحكمة ألا يجيبهم إلى طلبهم سريعا؛ ليذيقهم آلام الشعور بالقلق والهمّ؛ وليعلمهم درسا من أبلغ الدروس في التربية والتأديب؛ لذا لم يستغفر لهم في الحال.

أمّا يوسف عليه السلام فقد قابل إخوته، وهو في أقوى حالاته؛ إذ فضله الله عليهم، وأصبح عزيزا متحكما في خزائن الأرض، يأمر فيطاع أمره، وقد أنسته تلك المنزلة ما مرّ به من أحزان، وزادته قوة وصلابة، وعندما وجد أخوته في موقف المذنب الضعيف الخائف، الذي عظم ذنبه، وانقطع رجاؤه[١]، لم يشأ يوسف من كرمه أن يحمّل نفوسهم المتهالكة مزيدا من القهر، فآمنهم من خوف الانتقام، ومنّ عليهم بالعفو والدعاء، "**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**" [يوسف: ٩٢]؛ وبذلك ضرب لهم وللإنسانية بأسرها أسمى الأمثلة على العفو عند المقدرة.

وفوق ذلك فقد كان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم في موقف يستوجب العفو من الكرماء أمثاله؛ إذ كان في مواجهة مع إخوته الأكبر منه سنا، وهم في حالة لا يحسدون عليها من الخجل والحسرة وتوجس العذاب، **وفي الوقت ذاته هو لا يملك منهم ما يملكه أبوهم من حق التربية**، وربما لو

---

[١] **ويرى بعض المفسرين أن**: يوسف عليه السلام أخذ حقه من إخوته حينما قطع أنفاسهم "فى غدوهم ورواحهم إلى مصر، وإتيانهم بأخيهم من أبيهم، ثم فى هذا التدبير الذي جعل منه يوسف مدخلا لاتهام أخيه بالسرقة، وأخذه بما سرق، ووضع إخوته فى هذا الموقف الحرج" مع أبيهم، انظر: التفسير القرآني للقرآن: ٧/ ٤٧-٤٨

أخر عفوه عنهم لحدث ما لا يُحمد عقباه من شدة حسرتهم ورعبهم، فاقتضي حالهم من أخيهم الكريم أن يصفح عنهم؛ بل ويدعو لهم بالمغفرة والرحمة؛ ليدفع الخجل عنهم.

* **وجدير بالذكر أنه لم يرد في قصة يوسف أنه طلب القصاص ممن اتهموه في عرضه**، وزيفوا الحقائق وحكموا بسجنه؛ بل الوارد أنه اكتفى باعتراف امرأة العزيز بخطئها، وإعلانها براءته على الملأ، ولعل يوسف لمس في اعترافها لمسة ندم واعتذار، وفتح لباب الصفح بينها وبينه؛ إذ لم تكتف بتبرئته من السوء كما فعلت النسوة؛ بل صرحت بخطئها في حقه[١]، وحق ربها، معتذرة بضعف نفسها الأمارة بالسوء، المائلة إلى الشهوات، والشهادة على النفس دليل إثبات، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [يوسف: ٥٣]، ولعل الله تعالى قد غفر لها؛ لتوبتها، ولعفو يوسف عليه السلام وتنازله عن حقه في القذف[٢]، ولعل ما يؤكد عفو يوسف عن حقه الخاص في القذف، عدم ذكره لامرأة العزيز بسوء في أي موقف؛ إذ لم يتهمها بشيء يخدش حياءها، ولم يطلب من الملك التحقيق معها بصفة خاصة؛ ولعله راعى فضلها، وفضل زوجها عليه، في الفترة التي قضاها في بيتهما.

---

[١] وذلك حين اتهمته بأنه أراد بها سوء، وتسببت في دخوله السجن لسنوات؛ فكأنها أرادت الاعتذار اعما كان منها، انظر: الكشاف: ٤٨١/٢، وللمزيد راجع: التفسير الكبير: ٤٧٠/١٨-٤٧١

[٢] إذ إن المساس بأعراض الناس علنا من الحقوق المشركة بين الله وبين الناس، وحق الله فيها غالب، انظر الأحكام السلطانية: ٣٢٥، ومن ثَم فلا تقبل توبة القاذف إلا بالاستغفار، وردّ الاتهام عن المقذوف، وهذه ما حدث مع امرأة العزيز، عندما اعترفت بمراودتها ليوسف وأقرت بصدقه، ثم طلبت المغفرة والرحمة من ربها.

المبحث الثالث
أسس التحقيق في الجرائم وآلياته

بتفحص سورة يوسف وتدبرها، نجد أنها تضمنت عدة قواعد ومبادئ قانونية رائعة، مازال المحققون يعتمدونها في تحقيقاتهم، ويُعدونها من أهم أسس التحقيق وآليات البحث في كل زمان ومكان؛ وبخاصة في الجرائم الجنائية، المتعلقة بالدماء والأعراض؛ وبذلك تتجلى لنا مدى حضرية القران الكريم وشموله لكل نواحي الحياة، على اختلاف الزمان وتباين المكان، **وسأبين ذلك من خلال حديثي عن المطالب التالية:**

- مبادئ التحقيق في الجرائم الجنائية
- شخصنة العقوبة لمن تثبت عليه الأدلة
- سياسة البشر في تطبيق القوانين

*** وسوف أتحدث عن كل نقطة من النقاط السابقة بشيء من التفصيل:**

أولا: مبادئ التحقيق في الجرائم الجنائية:

احتوت سورة يوسف على أهم المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها المحققون في الجرائم الجنائية، وهي: **(**وجود الأدلة والقرائن، وشهادة الشهود، والاعتراف، ومكان وقوع الجريمة، والأدوات التي استعملت في ارتكاب الجريمة**)**، وسوف أتحدث عن كل واحدة من **تلك المبادئ في ضوء السورة الكريمة:**

(١) وجود الأدلة والقرائن:

الأدلة هي: الآثار التي تركها الجاني، في مسرح الجريمة، وتدل على ارتكابه للجريمة[١]، أما **القرينة** فهي: الأمارة التي "**استنتجها القاضي من الحادثة وظروفها وما يكتنفها من أحوال**"[٢]، والجاني أو المجرم مهما كان حريصا على إخفاء جريمته، لا بد وأن يترك أثرا يدل عليها؛ لأنه غالبا ما يكون مضطرب

---

[١] وقد تكون هذه الآثار **مادية:** كهوية الفاعل أو زر من أزرار قميصه، أو بصماته، وقد تكون قولية من خلال تضارب الأقوال، وقد تكون غير ذلك، لمعرفة المزيد راجع: الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي:٣٩، وما بعدها

[٢] القرائن ودورها في الإثبات في الفقه الجنائي الإسلامي:٩، وما بعدها

الذهن، متوتر الأعصاب في أثناء ارتكابه للجريمة، ونادرا ما يكون قادرا على ضبط نفسه، أو محافظا على هدوء أعصابه.

وكما يجب على **المدعي** أن يجلب البينة التى تثبت صدقه، **فعلى المحقق** أو القاضي **فحص** الأدلة، **واستنتاج القرائن** للتأكد من صحتها؛ حتى يستقيم الأمر، ويُقام العدل.

*** وقد تم فحص الأدلة في أكثر من مشهد في سورة يوسف،** وفي مواقف مختلفة، لعب فيها قميصه دورا محوريا؛ إذ ذكرت سورة يوسف ثلاثة قمصان ليوسف في مراحل مختلفة من عمره، يجمع بينهم رائحته عليه السلام.

– **وأول تلك المواقف:** فحص يعقوب عليه السلام (الذي كان يقوم بدور المحقق أو القاضي الذي يفحص الأدلة) لقميص ابنه يوسف؛ وذلك عندما قدمه له أولاده **كدليل** على زعمهم أن يوسف أكله الذئب؛ وليحبك إخوة يوسف دليلهم، لطخوا قميص أخيهم بدم كذب، وبعد فحص يعقوب عليه السلام لهذا الدليل، استنتج براءة الذئب من دم ابنه، **وقرينته في ذلك أنه وجد القميص سليما،** ليس به أي أثر لقطع أو تمزيق يدل على اعتداء الذئب عليه، إذ كيف يأكل الذئب يوسف ويمزق لحمه دون أن يتمزق القميص الذي كان يلبسه بظفر الذئب أو نابه؛ لذا قال لأبنائه متعجبا متهكما على ادعائهم: "**ما أرَى به أثرَ نَابٍ وَلا ظُفُرٍ، إنّ هذا لسبعٌ رحِيم**"[١]، وبسلامة القميص اكتشف يعقوب عليه السلام بفراسته[٢] كذب بنيه، وقال لهم كما ذكر الله تعالى على لسانه: "**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**" [يوسف: ١٨]. وهكذا يتبين لنا أن يعقوب عليه السلام كان قاضيا حكيما ومحققا ماهرا، فقد كشف كذبهم، الذي سولته[٣] لهم أنفسهم، وتأكد من تضييعهم لأخيهم، ومع ذلك استعان بالصبر الجميل، وهو الصبر الذي لا يعقبه جزع أو فزع.

---

١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٢١١١/٧

٢) **والفراسة:** هي الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأحوال الباطنة، ويحدث ذلك بالنظر والتثبت، والتأول للشيء، انظر: الفراسة عند العرب: ٩٥، والفراسة من العلوم التي يجب أن يتحلى بها أيُّ محقق، وبخاصة في الجرائم المتعلقة بالدماء.

٣) والتسويل: تحسِين الشَّيْءِ وتزيينُه وتَحْبِيبُه إلى الإنسان لِيَفْعَلَهُ أَو يَقُولَهُ، انظر اللسان (سول): ٣٥٠/١١

وعليه، فالدم ليس دليلا مؤكدا على الصدق، فما أيسر أن يحصل الإنسان على الدم من أي إنسان أو حيوان (مع مراعاة أن فصائل الدم الإنساني لم تكتشف بعد)؛ لذا كان من الأوقع من إخوة يوسف (إن كانوا صادقين)، أن يحملوا بقايا جسد أخيهم، إن كان الذئب قد هجم عليه بالفعل وقتله؛ إذ من غير المعقول أن يأتى الذئب على كل أجزاء ضحيته، وبخاصة إن كانت غلاما مدّركا في مثل عُمْر يوسف عليه السلام وحجمه[١]، وإن كان هذا هو عين ما حدث بالفعل، **فلماذا لم يحملوا أشلاء أخيهم المتبقية معهم**؛ لتكون دليلا على صدقهم كما أتوا بقميصه؟!!!.

وإلى جانب ما سبق فإن الدم الموجود على القميص كان دليلا مهما في كشف جرم إخوة يوسف وكذبهم؛ لأنهم وضعوا الدم وضعا متكلفا فوق قميصه، ولو كان الدم خرج من جسد يوسف من أثر افتراس الذئب له، لتوغل الدم في كل قطعة من قميصه، وهذا ما أشار إليه المولى تعالى عندما وصف الدم بالكذب، وذلك في قوله تعالى: "**وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**" [يوسف : ١٨]، وهكذا نجد أن إخوة يوسف مع حرصهم على حبك جريمتهم، تركوا **قرينة فندت دليلهم،** وكشفت جرمهم، وهي **ترك القميص سليما،** وبذلك أصبح القميص الذي استخدمه إخوة يوسف كدليل على براءتهم، هو الدليل نفسه على كشف كذبهم وإدانتهم.

- **وثاني تلك المواقف:** فحص العزيز مع الشاهد قميص يوسف للتأكد من مكان القطع فيه، وبقرينة قدّ القميص استدل على براءة يوسف وصدقه[٢]، وإدانة امرأة العزيز وكذبها؛ وذلك عندما تأكدوا من أن قميص يوسف مقدود من الدبر، وفي ذلك يقول تعالى: "**فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**" [يوسف: ٢٨].

---

[١]) وقد اختلف المفسرون في عمْر يوسف في ذلك الوقت، فذكروا أَنه كَانَ من أَبنَاء [اثنتى عشرَة] سنة، وهذا هو المعروف،
وقيل: إنه كَانَ ابْن سِت سِنِين. وَفِي بعض الرِّوَايَات: أَنه كَانَ ابْن سبع عشرَة سنة، راجع: تفسير السمعاني: ١٣/٣، وعلى كل فقد كان يوسف وقتها طفلا مدركا يعي كل ما حوله، بدليل الرؤيا التى رأها، وسماعه لنصيحة أبيه بعدم قصها.

[٢]) وقد استدل القرطبي من ذلك على: جواز القضاء بالقرائن، انظر تفسير القرطبي: ٩/ ١٧٤

- **وثالث المواقف:** استدلال يعقوب عليه السلام من قميص يوسف –الذي عليه رائحته–على **أن يوسف:** عُثر عليه، وأنه بخير، ومن المعجز أن يعقوب عليه السلام تعرّف على رائحة ابنه، بمجرد وصول القافلة، وقبل أن يُؤتى إليه بقميصه، فضلا عن أن يلمسه بيديه، أو يقربه من وجهه؛ وذلك مثلما يتعرف الرضيع على أمّه من رائحتها قبل أن تلمسه، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ**" [يوسف: ٩٤].

ولا يخفى علينا ما في الآية الكريمة السابقة من إعجاز علمي، وهو إخبار القرآن الكريم بوجود بصمة للرائحة خاصة بكل إنسان، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث؛ إذ أثبت أن لكل إنسان رائحة خاصة به مختلفة عن رائحة الآخرين، تكاد لا تتكرر بين شخصين، وتُعد رائحة العرق الخاصة بكل إنسان أحد الشواهد على تلك البصمة؛ لذا يستخدم المحققون في البحث الجنائي الكلاب البوليسية (المدربة على شمّ الرائحة)؛ لتشم الأشياء التي التقطت في مكان الجريمة، فتتعرف على المجرم من رائحته، وعليه فيتم الكشف عن هوية المجرم من خلال الرائحة المنبعثة من جسمه.

ومن هنا نستطيع القول إن: مفهوم البصمة اليوم أصبح لا يقتصر على المفهوم المادي لتحديد الهوية من خلال عدم تشابه بصمات البشر، وهو ما أشار إليه المولى تعالى في قوله: "**بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**" [القيامة: ٤]، فللبصمة اليوم مفاهيم كثيرة اكتشفها العلم الحديث، فإلى جانب بصمتي البنان والرائحة **فتوجد على سبيل المثال**[١]:

– **بصمة الحمض النووي** DNA، وهي أحد الوسائل الأكثر تطورا؛ لتحديد هوية الأشخاص.

---

[١]) لمعرفة المزيد عن البصمات الإنسانية وأنواعها، انظر مقال: البصمات وحاسة الشم العربية، د. عاطف الفراية، بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٢م،
ttps://www.ammonnews.net/article/4820، وانظر كذلك:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84_%D8%AC%D9%86%D8%A7%D8%A6%D9%8A

- **بصمة الصوت:** وهي التي يتحكم فيها نبرات صوت الإنسان وطبقاته، وهي لا يمكن تقليدها، وتستخدم في البنوك في الغرب، وبها يستطيع صاحبها وحده تحويل المبالغ المالية، ولو عبر الهاتف.
- **بصمة العين:** فقزحية العين أشبه ببصمة الأصابع، وهاتان البصمتان لا تتغيران في الإنسان منذ ميلاده إلى وفاته.

* **وهناك بصمات أخري** كبصمة الفك وبصمة شحمة الأذن، وغير ذلك من بصمات تؤكد أن الله تعالى خلق لكل إنسان خصوصية جسدية لا تتكرر في غيره، وكلها يُعد الآن من الأدلة القطعية المعتمدة في مجال البحث الجنائي، وتؤدي دورا حاسما في التحقيقات الجنائية وكشف هوية الجناة، وهذا من آيات الإعجاز في خلق الإنسان، والذي أشار إليه المولى تعالى في قوله: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**" [فصلت: ٥٣].

(٢) شهادة الشهود

والشهود من أهم أسس التحقيق، التي تساعد على كشف الجناة، وقد كان للشاهد في سورة يوسف دور كبير في كشف الستار عن الجاني الحقيقي؛ إذ على شهادته ظهرت براءة يوسف عليه السلام مما اتهمته به امرأة العزيز، يقول تعالى: "**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**" [يوسف: ٢٦-٢٧]، فبناء على شهادة ذلك الشاهد تأكد العزيز من براءة يوسف مما ادعته عليه زوجته، وعليه فقد طلب منه أن يُعرض عن الحديث في هذا الأمر، وطلب من زوجته التوبة والاستغفار.

(٣) الاعتراف

والاعتراف: من أهم الأدلة في التحقيق وكشف الجناة والمجرمين؛ بل هو سيدها، وقد اعترف الجناة في سورة يوسف على أنفسهم اعترافا صريحا، وفي أكثر من موضع في السورة الكريمة، **ويتجلى ذلك في:**

أ- **اعتراف إخوة يوسف بجريمتهم**

اعترف إخوة يوسف بجريمتهم التي ارتكبوها في حق أخيهم يوسف (وهي محاولة التخلص منه بتعريض حياته للخطر المؤكد، والتفريق بينه وبين أبيه)، وكان هذا الاعتراف في موضعين، **الأول:** أمام يوسف عندما عاتبهم عمّا فعلوه به، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: "**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**" [يوسف: ٩١]، و**الموضع الآخر**: اعترافهم بخطئهم أمام أبيهم، وطلبهم منه المغفرة وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**" [يوسف: ٩٧].

ب- اعتراف امرأة العزيز

اعترفت امرأة العزيز أنها هي التي تجنت على يوسف عليه السلام واتهمته بمراودتها كذبا، في **موضعين** كذلك: **الأول:** أمام نسوة المدينة، وذلك في قولها لهم: "**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**" [يوسف: ٣٢]، **والآخر**: أمام الملك وذلك في قولها: "**قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**" [يوسف: ٥١].

ج – اعتراف النسوة اللاتي قطعن أيديهن

ولعل أمر هؤلاء النسوة كان من أهم الأسباب التي أدخلت يوسف السجن ظلما، وهاهن يعترفن أمام الملك بعفة يوسف عليه السلام، ونزاهته عن إرادة السوء، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ**" [يوسف: ٥١].

وبعد اعتراف الجانية، وشهادتها بصدق المجني عليه، وباعتراف النسوة على أنفسهن وهنّ خصومه في القضية، **تظهر** براءة يوسف جلية دون ريب أو تأويل؛ إذ لا مجال للمزيد بعد ذلك، فقد حُسمت القضية بالاعتراف، الذي هو: سيد الأدلة "وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال"[١].

(٤) مكان وقوع الجريمة

---

[١]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٧٩/٢

يُعد مكان وقوع الجريمة، أو ما اصطلح على تسميته ب (مسرح الجريمة)، أساسا مهما في كشف الجريمة والجناة؛ لأنه المكان الذي مكث فيه الجناة فترة من الوقت، يمكنهم من ارتكاب الجريمة.

وقد وقعت جريمة الاعتداء على حياة يوسف والشروع بقتله في الصحراء، فالجبّ عادة ما يكون فيها، وهذا ما أشار إليه المولى تعالى في قوله: "**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ**" **[يوسف: ١٥]**.

أمّا جريمة مراودة يوسف عن نفسه، فقد وقعت داخل بيت العزيز، داخل منزل الزوجية، وقد اختارت امرأة العزيز هذا المكان؛ حتى تأخذ حذرها، ولا ينكشف أمرها، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**" **[يوسف: ٢٣]**، ولعل في ذلك دليل على براءة يوسف، فهو لا يمكن أن يدخل مخدعها بغير إذنها، وبالتالي لا يمكن لمن يريد بضحيته سوءا، أن يستدرجها إلى مخدعها.

(٥) الأدوات المستخدمة في ارتكاب الجريمة

تحدثت سورة يوسف **عن ثلاث جرائم:**

الأولى: محاولة قتل يوسف أو تعريض حياته للخطر: والأداة المستخدمة في تلك الجريمة هي: قميصه بعد أن لطخه إخوته بدم كذب؛ لكي يقنعوا أباهم بأنه قُتل.

والثانية: مراودة يوسف عن نفسه من قبل امرأة العزيز، والأداة المستخدمة في تلك الجريمة هي: قميص يوسف الذي قدّته امرأة العزيز، حينما فرّ منها هاربا.

* **وكما كان لقميص يوسف دور** مهم في كشف كذب (إخوة يوسف وامرأة العزيز) في الجريمتين الأوليين، كان له دور مهم كذلك في شفاء عيني يعقوب بعدما ابيضتا من الحزن؛ إذ ارتد بصيرا بمجرد وضع القميص على وجهه، من شدة فرحته عندما شمّ رائحة ابنه، أو ليقينه بقرب لقائه، وفي ذلك يقول تعالى: "**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**" [يوسف: ٩٣]، ويقول تعالى: "**فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا**"[يوسف: ٩٦].

والثالثة: تهمة السرقة الملفقة، والأداة المستخدمة في تلك الجريمة هي: صواع الملك المشار إليه في قوله تعالى: "**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**" [يوسف: ٧٢].

*** وعلى ما سبق نجد أن:** سورة يوسف تحدثت عن جميع العناصر الأساسية المكونة للجريمة؛ إذ تحدثت عن: (الجاني، والمجني عليه، والأدلة والقرائن والشهود، والمكان الذي تمت فيه الجريمة، والأدوات المستخدمة في ارتكاب الجريمة).

ثانيا: شخصنة العقوبة لمن تثبت عليه الأدلة

حجز يوسف عليه السلام أخاه، عندما استخرج غلمانه صواع الملك من متاعه؛ لثبوت جريمة السرقة عليه بالدليل العيني، وهو وجود الصواع في رحله، وفي ذلك يقول تعالى: "**فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**[1]. **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ. قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ. قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ**" [يوسف: ٧٠-٧٦] ومع علم يوسف أن أخاه بريء، وأن تهمة السرقة ملفقة له، أصرّ عليه السلام على عقوبته، ورفض أن يأخذ أحدهم مكان من اسُتخرج الصواع من متاعه؛ لأنه قاض عادل، والقاضي العادل لا يعاقب إلا من تثبت عليه الجريمة ببينة[2] لا تقبل الشك، أو بشهادة الشهود العدول، والعدالة تقتضي عقوبة السارق نفسه؛ لذا لم يستجب لمطلبهم، وطبق العدل الظاهر للجميع، مع أنه هو الذي وضع السقاية في رحل أخيه، أو أمر غلمانه بوضعها، ويصور المولى تعالى هذا الموقف بقوله: "**قَالُوا يَا**

---

[1]) استدل العلماء من هذه الآية على: مشروعية الجعل والكفالة والضمان في العقوبة، فالزعيم هو الضامن والكفيل، لمزيد من التفاصيل انظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٢٣١-٢٣٤، وانظر كذلك: تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٤

[2]) والبينة هنا هي: استخراج الصواع من رحل أخية على مرأي من الجميع؛ لذا قال إخوة يوسف لأبيهم؛ وكأنهم يعتذرون عمن وعدهم له بحفظ أخيهم: **"وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ"** [يوسف:٨١]

أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ" [يوسف: ٧٨-٧٩].

وكأن يوسف عليه السلام بموقفه هذا أراد أن يلقن إخوته درسا في الأخلاق، وهو إقامة العدالة؛ لذا قابل عرضهم بالاستعاذة بالله من الظلم، ومن أن يأخذ إنسان برئ بذنب آخر مسيء، فالقاضي العادل لا يقبل إلا العدل، ولا يطبق العقاب إلا على من تثبت عليه الأدلة أيّن كان، وبذلك قطع رجاءهم في أن يأخذ أحدهم مكان من وجد في رحله المتاع؛ لأنه لا يريد أن يكون من الظالمين.

أمّا القاضي الظالم فهو الذي يطبق العقاب على الضعيف، ويترك عقاب القوي، وإن ثبتت إدانته بالأدلة البينة، وهذا ما حدث مع يوسف نفسه؛ فقد كان بريئا، وثبتت براءته لدى العزيز، ومع ذلك رأى أن يسجنه **"ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ"** [يوسف: ٣٥].

وموقف العزيز هذا يلقي الضوء على بعض مظاهر الظلم الاجتماعي المسلّط على الطبقات الضعيفة، في كل عصر، وهذا ما حذرنا منه رسولنا الكريم في قوله: **"إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"**[١]، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، كيف ليوسف أن يظلم وهو نبي؟ وإلى جانب ذلك فقد عانى من الظلم فترة كبيرة من عمره، فكيف له أن يحبس أخاه متهما بكبيرة تستوجب الحدّ كالسرقة، وهو يعلم أنه بريء، ويعلم أيضا أن حبسه سيزيد من كرب أبيه وحزنه؟ ولعل السبب في ذلك أن الله تعالى أمره بذلك؛ تشديدا بالمحنة على يعقوب؛ تمهيدا لقرب الفرج[٢].

هذا وقد نبهنا رسولنا الكريم إلى اجتناب الظلم، وإن حكم القاضي به؛ لأن القاضي يحكم بالأدلة، والأدلة قد تكون ملفقة، أو غير صحيحة، وعندئذ قد لا يستطيع المتهم الدفاع عن نفسه؛ لضعفه، أو لقلة فطنته؛ لذا حذرنا رسولنا الكريم

---

[١] صحيح البخاري: ١٧٥/٤، جزء من حديث (٣٤٧٥)
[٢] للمزيد راجع: التفسير الكبير: ٤٩١/١٨-٤٩٢

من أن نأخذ شيئا بغير حق، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**"[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن سورة يوسف قد ذكرت لنا هذين النموذجين للقضاة، اللذين مازالا موجودين من زمن يعقوب حفيد الخليل عليهما السلام إلى يومنا هذا، فطباع البشر واحدة، إن اختلف الزمان وتغير المكان.

ثالثا: سياسة البشر في تطبيق القوانين والعقوبات

الدين الحنيف يأمر بالعدل؛ لكن السياسة العقابية عند البشر، والالتزام بتطبيق القوانين العادلة، يرجع إلى طبيعة الحاكم، وقد ذكرت لنا سورة يوسف **نموذجين مختلفين للحكام:**

أ- نموذج لقاضٍ ظالم

أدخل العزيز يوسف عليه السلام السجن ظلما، وكم من برئ سُجن من غير جريمة، وإن كانت **العدالة تقتضي** القول بأن: **المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فما بالنا بمتهم يسجن بعد ثبوت براءته**؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى **القاضي الظالم**؛ الذي تأكد من براءة يوسف، ثم اتخذ قرارا بسجنه؛ ليخفي فضيحة زوجته، بعد أن عُرفت لدى نسوة المجتمع الراقي، وليتستر على رغبات النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

ولعلنا نتعجب من الموقف السلبي الذي اتخذه العزيز كزوج، وبخاصة بعد أن تيقن بالقرينة القاطعة من كذب زوجته وصدق يوسف، ومع ذلك وقف موقف الزوج المتخاذل، عديم الغيرة على أهل بيته؛ لدرجة السكوت على فعل المنكرات في صحن بيته، وأصبح كل ما يهمه هو السيطرة على الموقف، والإعراض عن الكلام فيه؛ حتى لا يشيع وينتشر في المجتمع المحيط به، ولم يتخذ موقفا إيجابيا

---

[1] صحيح البخاري: ٦٩/٩، حديث رقم (٧١٦٨)، ومعنى قَوْله أَلحن بحجته "**أَي أفطن بهَا وأقوم واللحن مُشْتَرك بَين الْخَطَأ والفطنة**": فتح الباري: ١٨٢/١، والمقصود بقوله: "**قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ تَمْثِيلٌ يُفْهَمُ مِنْهُ شِدَّةُ التَّعْذِيبِ عَلَى مَنْ يَتَعَاطَاهُ فَهُوَ مِنْ مَجَازِ التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بطونهم نَارا**"، فتح الباري: ١٧٣/١٣

في هذا الأمر، ولو بإبعاد يوسف عن القصر، أو منعه من خدمة زوجته؛ بل ترك كل شيء على ما هو عليه، وكأن ما يهمه هو المحافظة على الظواهر فقط.

كما أنه لم يعنف امرأته إلا بلوم بسيط ونصح بالاستغفار من خطيئتها، وفي ذلك يقول تعالى: "**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**" [يوسف: ٢٩]، ولعل هذا يشعرنا بأن ما حدث كان أمرا هينا أو معتادا عليه.

أما عن موقف العزيز كقاض، فقد كان عادلا في البداية، وحكم ببراءة يوسف عليه السلام من التهمة التى وجهتها إليه امرأته، لكن عندما أشيع بين نسوة الطبقة الراقية أمر مراودة زوجته لفتاها، **تعامل العزيز مع الموقف تعاملا آخر**؛ وهو تعامل الزوج، الذي يريد أن يستر على فضيحة امرأته، ويخفف عنها الشائعات، **فقام بسجن يوسف عليه السلام ظلما**؛ ليظن الناس أن يوسف عليه السلام هو الذي قام بالمراودة، ولذلك حُكم عليه بالسجن، ويزيد من ظلم العزيز أنه نسي أمر يوسف (الذي كان من المقربين إليه؛ لدرجة التفكير في اتخاذه ولدا)، ولم يحاول إخراجه من السجن بعد ذلك، وهكذا نجد أن العقاب في المجتمعات الظالمة دائما ما يقع على المظلومين.

ولا يفوتنى في هذا المقام الإشارة إلى تجبر امرأة العزيز وتسلطها؛ لدرجة أن زوجها لم يستطع أن يمنعها من استمرار الكيد بيوسف؛ حتى بعد انكشاف أمرها، إلى أن وصل بها الحد إلى تهديد يوسف بالسجن، وبأن يعامل معاملة مهينة، إن لم يستجب لرغباتها، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**" [يوسف: ٣٢]، وحاشا ليوسف عليه السلام من ذلك.

ولعل في تهديد امرأة العزيز ليوسف وتنفيذها للتهديد استخفاف بالقوانين، فكأنها تُلغي حكم القاضي؛ لتصدر حكمها، وهذا هو شأن الطبقات العليا والحاكمة في المجتمعات المستبدة، وهذا كله يرجع إلى **فساد الحاكم وظلمه**.

ب- نموذج لقاضٍ عادل

* **وكما صورت لنا سورة يوسف نموذجا للقاضي الظالم** في بلد من أعرق البلاد وأعظمها حضارة في ذلك الوقت وهي مصر، **صورت لنا نموذجا لقاضٍ**

عادل، وقد مثل هذا القاضي والملك في الوقت ذاته نموذجا عظيما للعدل والرحمة ببلده؛ إذ كان حريصا على بلده، فحفظ أهلها من المجاعة.

ويتجسد عدل هذا الملك: في استجابته لطلب يوسف عليه السلام في إعادة التحقيق في أمره، أي: إعادة التحقيق في القضية التي ادعت فيها امرأة العزيز أنه أراد بها سوءا؛ لتنظر أمام قاض جديد، **(وهذا يشبه النقض** لكن بعد سنوات[١] من صدور الحكم وتنفيذه)؛ وكأن يوسف يتقدم بطلب يعترض فيه على حبسه ظلماً، والقاضى في هذه المرة هو الملك ذاته، وقد **طلب يوسف من الملك** أن: يستمع إلى شهادة النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

وقد انتهى التحقيق إلى: شهادة النسوة بنزاهة يوسف عليه السلام، واعتراف امرأة العزيز على نفسها بالمراودة، وبصدق يوسف، وعليه فقد جاء **حكم القاضي العادل:** ببراءة يوسف عليه السلام مما نسب إليه من الاتهام الباطل، وأمر بإخراجه من السجن.

وبذلك نستطيع القول بإن قضية يوسف عليه السلام كانت قضية مكتملة الأركان، تحتوي على: مدّعِى (وهي امرأة العزيز)، ومدّعَى عليه (وهو يوسف عليه السلام)، وشهود (وهن النسوة)، وأعيد التحقيق فيها بناء على تظلم المدعَى عليه، وفي أثناء التحقيق الثاني اعترفت المدعِية على نفسها، وجاء الحكم النهائي ببراءة المدعَى عليه؛ وبذلك رفع الظلم عن يوسف عليه السلام.

وكما رفع الملك الظلم عن يوسف عليه السلام، حفظ بلده من مجاعة محققة؛ وذلك بأن ولى يوسف عليه السلام أمر خزائن مصر؛ ليتصرف فيها كيفما يشاء، **لما رأى من علمه وكفاءته وأمانته،** ما يؤهله لذلك، فالأمين على العرض أمين على المال، وعندئذ صارت الفرصة سانحة أمام يوسف، لإقامة العدل، ورفع الظلم عن المظلومين وبخاصة السجناء، الذين كانوا يعيشون في مكان كئيب، يضم كل من يشتبه فيهم دون تحقيق عادل ، كما حدث مع يوسف عليه السلام، وقد يُلقى بالمتهم في السجن دون أن يحقق معه أصلا، كما حدث

---

[١] وقد لبث يوسف عليه السلام في السجن سبع سنين، انظر: جامع البيان: ١١٤/١٦، وقيل لبث في السجن اثنتا عشرة سنة، وقيل أربع عشرة سنة، والرأي الأول أصح، راجع: الجامع لأحكام القرآن: ١٩٧/٩

مع السجينين اللذين دخلا مع يوسف عليه السلام السجن في التوقيت نفسه، وهما صانع طعام الملك وساقيه، **ويُقال إن:** سبب دخولهما السجن أنه وصل للملك أن صانع طعامه يريد أن يضع له سُما في الطعام، فظن الملك أن ساقيه متواطئ معه، فأمر بسجنهما[١]، ولم يثبت من السورة الكريمة أن الحاكم أمر بالتحقيق معهما، بدليل الرؤيا التي رأياها، وطلبا من يوسف عليه السلام تأويلها لهما، وبالفعل تفاجئا بتحقيق ما قاله يوسف لهما بلا تحقيق، وهذا يدل على ظلم الحاكم آنذاك.

ولا يفوتني في هذا المقام الإشادة بموقف هذا الملك العادل؛ وهذا إن دل علي شيء فيدل على مدى الرقي والتحضر، اللذين امتازا بهما المجتمع المصري منذ آلاف السنين، **والذي من مظاهره** سماح الملوك لأصحاب الكفاءات بإظهار قدراتهم وكفاءاتهم، وهذا ما حدث مع يوسف عندما طلب من الملك أن يتولى بنفسه الإشراف المباشر على خزائن الدولة؛ اتقاء للمجاعة المقدمة عليها البلاد (وهو عمل يوازي عمل عدة وزراء بمفهومنا المعاصر)، فاستجاب الملك لطلبه، لما رأي من علمه وأمانته وحسن تخطيطه، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا في المجتمعات الراقية المتحضرة، والتي من سمات تحضرها ورقيها، وجود الحاكم العادل، الحريص على مصلحة بلده.

وقد كان يوسف عليه السلام خير حافظ للغلال؛ إذ نظم العمل، ووضع الخطط الاقتصادية المستقبلية، وقد نجح في ذلك نجاحا غير مسبوق على المستوى الفكري والعلمي والتطبيقي، وكيف لا وهو نبي يوحي إليه، آتاه الله تعالى من العلم والحكمة ما يؤهله لتلك المهمة الشاقة، وفي ذلك يقول تعالى: "**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**" [يوسف: ٢٢]، وبالفعل أنقذ يوسف مصر بفضل الله من مجاعة كانت محققة، كما أنقذهم من سوء العاقبة بدعوتهم إلى عبادة الواحد الأحد، فيالها من شخصية معجزة جمعت بين: الجمال والعفة والصبر والعلم والعبقرية والعفو والتقوى والرضا في الشدة والرخاء.

---

[١]) انظر: جامع البيان: ٩٥/١٦

المبحث الرابع

مبادئ وآداب مستوحاة من ملامح الجريمة والتشريع العقابي

هناك كثير من المبادئ والآداب التى يمكن أن نستلهمها من دراسة الجريمة ومبادئ التشريع العقابي في سورة يوسف، **وسوف أتحدث باختصار عن أهم هذه الآداب:**

١- الحكمة من تشريع العقوبات وتطبيقها

العقوبات الشرعية: هدفها منع انتشار الجريمة في المستقبل؛ إذ "من المعلوم أن: عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم إلا بمؤلم يردعهم، ويجعل الجاني نكالا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله"[١]

وبعقاب الجاني، ينزجر من تسول له نفسه الإقدام على الجريمة؛ وبذلك يُصان المجتمع، ويطهر من الفساد.

وعليه فالحدود على الجرائم، شرعت رحمة بالعباد؛ لأنها صادرة عن رحمة الخالق بجميع خلقه، وإرادة الإحسان إليهم، وعلى ذلك فينبغي "لِمَنْ يُعَاقِبُ النَّاسَ عَلَى ذُنُوبِهِم أَنْ يَقْصِدَ بِذَلِكَ الْإِحْسَانَ إليهم وَالرَّحْمَةَ لَهُم، كَمَا يَقْصِدُ الْوَالِدُ تَأْدِيبَ وَلَدِهِ، وَكَمَا يَقْصِدُ الطَّبِيبُ مُعَالَجَةَ الْمَرِيضِ"[٢]؛ إذ إن **الغرض من العقوبة هو:** إصلاح حال البشر، وحمايتهم من المفاسد، وكفهم عن المعاصي، وحثهم على الطاعة؛ لذا يجب عدم المجاوزة في العقاب، بصورة تفوق قدر ما اقترفه المجرم من الذنب، فالهدف من العقوبات هو المنع والزجر، لا الظلم والقهر.

ولعل هناك حكمة أخرى معنوية من تطبيق العقوبة على الجاني، وهي عدم تمكن الإحساس بالظلم والقهر من نفس المظلوم، فإحساس المظلوم بالقهر لا يموت، فقد يكمن الحزن في قلبه لكنه لا يُنسى؛ لذا شرع الله تعالى القصاص؛ حتى لا

---

[١]) إعلام الموقعين: ٧٩/٢

[٢]) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٥٢١/٥

يقنط المظلوم من وجود العدل، أو يصاب ببعض الأمراض النفسية والبدنية، التي قد تقضي عليه، أو تحول دون استكماله لحياته بصورة طبيعية، ولعل سورة يوسف **أشارت إلى ذلك**، عندما تحدثت عن حزن يعقوب وضيق صدره حين غاب عنه الابن الثاني، فقد تجدد حزنه على غياب الابن الأول (يوسف)، وبكى عليهما بكاء شديدا؛ حتى ابيضت عيناه، أي: ذهب سوادهما[١] من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء مِن شدة قهره على مَن فقد مِن أولاده، ويصور الله تعالى موقف يعقوب هذا بقوله: "**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**" [يوسف: ٨٤]، ويتولى يعقوب عليه السلام عن سائر بنيه، مكظوما شاكيا عظيم حزنه إلى المولى تعالى، يقول تعالى على لسانه: "**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**" [يوسف: ٨٦]، وكأن يعقوب عليه السلام يعلمنا: أن الأزمة عندما تشتد، لا يفرّجها إلا الله، وإن كان كل هذا الهم والحزن أصاب يعقوب عليه السلام، وهو ممن اصطفاهم الله تعالى بالنبوة، فما بالنا بغيره من البشر على اختلاف درجات إيمانهم!!!

ومن رحمة المشرع تعالى أنه فتح للمجرم باب التوبة، (سواء أكان جاهلا بعقوبة ذنبه، أم عالما بها) إذا تاب قبل معاينة الموت؛ وذلك لِمَا للتوبة من أثر فعال للحدّ من الجريمة، ومنع انتشارها، أما بعد حضور الموت، فلا يُقبل من العاصين توبة؛ وذلك لأن "التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار"[٢]، أمّا من تاب إلى ربه وأصلح، فسيجد الله عفوا كريما، ويدل على ذلك قوله تعالى: "**فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**" [المائدة: ٣٩]، و قوله تعالى: "**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**" [الفرقان: ٧٠].

---

[١]) انظر جامع البيان: ٢٣٠/١٦، وما بعدها
[٢]) تفسير السعدي: ١٧١

٢- وجوب العدل بين الأولاد

التفرقة بين الأولاد أو تفضيل بعضهم على بعض، من أهم الأسباب التي تورث الحقد والصراع، وقد يؤدي ذلك إلى تأصيل العداوة والبغضاء بينهم؛ لدرجة النفور وارتكاب الجرائم، ولعلنا نستفيد من سورة يوسف في علاج بعض مشاكلنا النفسية كالحقد والحسد والغيرة بين الإخوة، وما كان يعقوب عليه السلام ليخفى عليه مثل هذه الأمور، وما كان تفضيله ليوسف وأخيه إلا في المحبة القلبية فقط، ولعل ذلك يرجع لصغر سنهما، ووفاة أمهما، والعدل في المحبة القلبية ليس في وسع البشر، والله تعالى لا يحاسب الإنسان على أمر لا يملكه[١]، أمّا في غير ذلك فقد كان يعقوب عليه السلام عادلا بين أولاده؛ حتى في الترفق اللفظي في الخطاب، فكما خاطب يوسف عليه السلام بقوله: "**قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**" [يوسف: ٥]، خاطب إخوته بقوله: "**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ**" [يوسف: ٦٧].

ومع حرص يعقوب عليه السلام على توخي العدل بين بنيه؛ إلا أن نفوس بعضهم لم تكن صافية؛ وبخاصة تجاه يوسف، وقد أدرك يعقوب ذلك بفراسته؛ لذا نصحه ألّا يقص رؤيته على إخوته؛ حتى لا يزداد حقدهم وحسدهم له، فتتحرك نفوس بعضهم ضده بالشر، وبالفعل حدث ما كان يخشاه.

٣- الصبر والثبات عند الابتلاء

وقد تحدثت سورة يوسف عن شخصيتين ضربتا لنا أبلغ الأمثلة في الصبر، وهما:

- **يعقوب عليه السلام:** فقد صبر يعقوب على تضييع بنيه لأحب أولاده إليه، مع تعمدهم الكذب عليه، وفوض أمره إلى الله، حتى لا يُضيعهم جميعا، فيزداد عناؤه النفسي والبدني؛ لذا فضّل التعايش السلمي مع أبنائه، مع التحلي بالصبر

---

[١] هذا وقد روي أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يميل بالمحبة القلبية إلى بعض زوجته، مع العدل بينهن في الأمور المادية، ومن أقواله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**»، سنن الترمذي: ٣/ ٤٣٨، حديث رقم (١١٤٠).

الجميل؛ فرّجع الله له ابنه يوسف أفضل مما كان، وجمعه ببنيه كلهم، وما أبلغ يقين يعقوب بقرب الفرج من الله، وفي ذلك يقول تعالى: "**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" [يوسف: ٨٦].

- **يوسف عليه السلام:** وتجلى صبر يوسف عليه السلام فى مواقف كثيرة، منها: **صبره على** ضيق الجبّ وظلمته، وهو مازال صبيا صغيرا، **وصبره على** مراودة امرأة العزيز له، ومن بعدها النسوة اللاتي قطعن أيديهن، **وصبره على** فقد حريته وتحمله عذاب السجن وعناءه لسنوات وهو بريء، ولم يقنط في ذلك كله من رحمة الله تعالى وقرب فرجه؛ إلى أن عوضه المولى تعالى عن ذلك كله، ونصره على إخوته وعلى كل من ظلمه، فأصبح عزيزا لمصر، ومكنه من خزائن الأرض، يتصرف فيها كيف يشاء، يقول تعالى: "**وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**" [يوسف: ٥٦]، وفوق ذلك أعطاه المولى تعالى النبوة والملك إلى أن وصل لأعلى المنازل في الحياة الدنيا، ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون.

٤- **آداب الخصومة عند الاختلاف**

علمتنا قصة يوسف آداب الخصومة في غير آية كريمة من آياتها، **ومن ذلك:**

– اجتناب الظالم، وإظهار عدم الرضا بما فعل؛ حتى لا يتمادى في ظلمه، وكذلك فعل يعقوب مع أولاده، فقد اجتنب مؤانسة بنيه، لكن لم تمنعه خصومته معهم من تقديم النصح لهم وقت الحاجة، ومن ثَمّ فقد طلب منهم أن يرجعوا إلى مصر مرة أخرى؛ ليشتروا الطعام، ونصحهم بأن يستقصوا أخبار يوسف وأخيه، وألّا يقطعوا الرجاء من رحمة الله؛ لأنه لا يقطع الرجاء من رحمته تعالى، إلا الجاحد لقدرته، الكافر به، وفي ذلك يقول المولى تعالى: "**يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**" [يوسف: ٨٧]

– تجاهل الظالم، كما فعل يوسف مع إخوته؛ إذ لم يعرّفهم بأنه أخوهم في أول لقائه بهم في مصر، على الرغم أنه عرفهم، ومع ذلك لم تمنعه خصومته معهم من القيام بواجبه تجاههم عند لجوئهم إليه، وربما فعل ذلك مع إخوته حتى يذيقهم من عناء الإحساس بالاحتياج في أشد ضرورات الحياة، وربما ليزيدهم عذابا بتكبد عناء السفر ومشقته مرارا وتكرارا.

٥– سوابق الإنسان تحدد سمعته

فسوابق الإنسان غالبا ما تراعى عندما يكون موضع اتهام؛ إذ قد يُتهم الإنسان وهو برئ بناء على سوابقه، فيعقوب لم يصدق أولاده في المرة الثانية (عندما أخبروه بأن ابنه استرق أسيرا بمصر؛ لأنه سرق؛ لذا لم يستطيعوا أن يعودا به كما وعدوه)، فعلى الرغم من صدقهم هذه المرة، إلا أن يعقوب عليه السلام لم يصدقهم؛ لأنهم سبق **وأن دبروا** مكيدة لأخيهم يوسف وادعوا أن الذئب أكله كذبا، وقد أخبرهم يعقوب بذلك صراحة في قوله: "**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**" [يوسف: ٨٣]، ؛ لذا لم يأمن لهم، ولم يصدقهم رغم صدقهم في أنهم رأوا الصواع وهو مستخرج من رحاله، وهي بينه لا تقبل الجدل، ورغم استشهادهم بأهل القرية، وفي ذلك يقول تعالى: "**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**" [يوسف: ٨١–٨٣]، فالكاذب لا يصدق، وإن أتى بما يثبت صدقه، فسوابقه تحدد سمعته.

٦– حرمة التشييء للبشر واسترقاق الحر

والمقصود بالتشييء للبشر: تَحوُّل العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء[١]، **أي:** جعل التعامل مع الإنسان الذي كرمه الله تعالى كالأشياء المادية، والسلع التي تُباع وتُشترى؛ متجاهلين شخصه كإنسان له حسّ وشعور وعاطفة، فيوسف عليه السلام لم يؤسر من حرب، ولم يشترَ من سوق النخاسة،

---

[١]) انظر: المعجم الوسيط: ٥٠٢، وهو مصطلح معاصر، غير موجود في المصادر اللغوية أو الفقهية القديمة.

فهو إنسان حرّ، ومع ذلك باعه الذين استخرجوه من الجبّ، وتاجروا بإنسانيته، كما يتاجرون بالبضاعة المادية، دون مراعاة لحقوقه الإنسانية؛ إذ لم تذكر لنا السورة الكريمة أن من وجدوه حاولوا مساعدته في البحث عن أهله، أو قدموا الرعاية المعنوية والمادية اللازمتين له؛ بل تاجروا بإنسانيته وباعوه بثمن بخس زهيد، **أي: عومل** عليه السلام كالبضاعة الراكدة، التي يريد أصحابها التخلص منها، ولو بثمن بخس، **ولا يخفى ما في ذلك من استغلال للضعفاء**؛ وبخاصة الأطفال، الذين لا يملكون القوة للدفاع عن أنفسهم، أو لا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم كالمخطوفين واللقطاء، فيستغل بعضهم ضعفهم هذا بلا رحمة، ويقررون بيعهم ولو بثمن بخس، أو التخلص منهم، أو تركهم لمصير مجهول دون رأفة أو رحمة، (كما حدث مع يوسف عليه السلام)، **وفي ذلك دليل على** أن امتهان حقوق الضعفاء والأطفال واستغلالهما موجود منذ القدم.

وما أشبه ما حدث ليوسف عليه السلام من آلاف السنين بما يحدث اليوم من بعض المنظمات غير العادلة، وانتهاكهم لحقوق الإنسان في العصر الحديث، وبما تسنه هذه المنظمات من قوانين جائرة، باخسة لحقوق الإنسان، وبخاصة في البلدان الفقيرة والمتخلفة حضاريا، إذ نجد الإنسان فيها أشبه بالرقيق التي كانت تُباع وتُشترى، ولكن بأشكال حديثة مبتكرة[١]، **من مثل:**

- **الاتجار بالبشر:** ويتخذ هذا النوع من الإتجار **صورا عديدة من مثل:** الإتجار الجنسي وتجارة الأعضاء البشرية وقد توسع بعض المجرمين في هذه التجارة؛ لدرجة قتل بعضهم للمتاجرة بأعضائهم، ومن ثَمّ عمل بنوك للأعضاء شاملة لكل أجزاء الإنسان تقريبا، حتى المني والبويضات، وما أخبثها من تجارة، وما أكثر انتشار الأمراض الخبيثة، التي تفشت، ولم تكن موجودة من قبل؛ نتيجة لتفشي الخبائث بين البشر.

---

[١]) راجع: مقالة: حقوق الإنسان (أشكال الرق في العصر الحديث)، مقالة مترجمة ومنشورة على الموقع بتاريخ ٢٠١٣/١٠/١٨م،
https://www.thenewhumanitarian.org/ar/khbr/2013/10/18/shkl-lrq-fy-lsr-lhdyth

- **العمل القسري:** فقوانين العمل الجائرة اليوم تصور لنا كذلك صورة حديثة من صور التشيوء للبشر، الذين كرمهم الله ورفع قدرهم، فظلم بعضهم لبني جلدتهم، وإهدارهم لكرامتهم، وإجبارهم على العمل الشاق تحت التهديد بالعقاب، أو تعريض بعضهم لإهانات تحط من كرامتهم، مع التحكم في حريتهم وحرمانهم من كثير من حقوقهم، كما تفعل بعض المنظمات الجائرة، التي تتبع سياسة العبودية والتفرقة العنصرية، فما ذلك كله إلا لون من ألوان الرق والعبودية، التي حظرت عالميا منذ أكثر من مائتي عاما.

- **استرقاق الأطفال:** وذلك باستعباد الأطفال الذين يعانون من التفكك الأسري من الفقراء، واستعباد أولاد الشوارع كذلك، وقهر طفولتهم، واستخدامهم للعمل كخدم في المنازل وخلافه، أو استخدامهم في الأعمال الإجرامية والمحرّمة كترويج المخدرات، والتفجيرات المسلحة مقابل مبالغ زهيدة؛ استغلالا لعوزهم وفقرهم، وقد يتعرض هؤلاء الأطفال في أثناء عملهم للتعذيب أو التحرش الجنسي، وقد يصل الأمر ببعضهم إلى بيع هؤلاء الأطفال، والإتجار بأعضائهم.

- **الزواج القسري:** ويتم بإجبار أحد أو كلا الطرفين على الزواج دون موافقته موافقة حرة وكاملة، مستغلين ضعف بعضهم وعوزه، أو تحت قوة الضغط أو التهديد، وهذا انتِهاك صريح لحقوق الإنسان، لأنه يتعدى على أبسط حقوق الأفراد واستقلاليتهم.

****

الخاتمـــــــة

وفي نهاية جولتي مع بحثي، لا يسعني بعد حمد الله تعالى إلا أن أرصد أهم ما توصل إليه البحث من **نتائج وتوصيات وهي:**

١- الحسد والكبر من أكبر دوافع الجريمة؛ بل هما أصل ارتكاب الجرائم، لما لهما من تأثير فعال في إشعال النفوس وتحريكها نحو الجريمة.

٢- الرغبة في الانتقام مرض يدمر النفوس الإنسانية الضعيفة، أمّا النفوس العامرة بالإيمان فلا تخضع لدوافعها الإجرامية.

٣- جميع الجرائم التى ارتكبت في حق يوسف عليه السلام، من الجرائم المتعمدة المنكرة، التي لها عقوبة حدّية في الشرع.

٤- انخفاض نسبة الجريمة في الدول الإسلامية عن الدول غير المسلمة، يرجع لانفراد الشريعة الإسلامية بتحريم السكوت على الجريمة، أو الرضا عن مرتكبيها.

٥- المجرم يتفنن في أساليب الجدال والمحايلة؛ حتى يحصل على بغيته، والحذر لا يمنع من القدر.

٦- واجهت الشريعة الإسلامية الجريمة، ووضعت الحدود والتعزيرات، للحدّ منها؛ لضبط سلوك الأفراد والجماعات، فمن أمن العقوبة أساء الأدب.

٧- لا تجتمع الجماعة غالبا على فعل الشر، والعمل الطالح لا يمكن أن يكون طريقا للصلاح.

٨- ندم إخوة يوسف كان ندما مؤقتا؛ إذ إنهم لم يحاولوا استدراك الأمر، ولم يعتذروا عن جريمتهم إلا بعد أن انكشف أمرهم.

٩- تمتاز الطبقات الأرستقراطية منذ القدم بالتجاوزات الخُلُقية، وعدم الحرص على العفة، والسماح بإقامة العلاقات المحرّمة سرا، ولا ملامة إلا لمن يُفتضح أمره، أو يجاهر بمثل تلك العلاقات.

١٠- وجوب الهروب من مواضع الفتن، مع تزكية النفس بالعفة، واستشعار المراقبة الإلهية؛ وإن كان في ذلك مشقة كبيرة، فالجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات.

١١- خطورة الخلوة بالمرأة الأجنبية، وعواقب رفع الكلفة؛ وإن وجدت الفوارق العمرية والاجتماعية؛ وبخاصة في زمننا هذا؛ حيث انتشار الفواحش، وكثرة وجود الخدم في بيوت العرب والمسلمين.

١٢- الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله، وهذا ما فعله يوسف عليه السلام عندما قال "**لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**".

١٣- فرحة المظلوم لا تكون بالعفو عنه؛ بل بالتيقن من براءته بالأدلة القاطعة، وإظهارها على الملأ؛ حتى تظل صفحته بيضاء أمام الجميع دون أدنى شبهة.

١٤- الحرص على السمعة الطيبة، واستشعار قيمة الكرامة والطهر والعفة.

١٥- العلم من أسباب الرفعة والنجاة؛ إذ كان لعلم يوسف بالتأويل أعظم الأثر في خلاصه من محنة السجن، وسببا في ردّ اعتباره.

١٦- لا حرج من تزكية ذوي القدرة والكفاءة لأنفسهم؛ وبخاصة إن تعلق الأمر بالمصلحة العامة للبلاد والعباد.

١٧- الصفح الجميل، هو العفو المصحوب بالكرم، دون لوم أو تأنيب؛ بل صفح يعقبه التماس العذر للمخطئ، ونسبة العمل الإجرامي للشيطان.

١٨- احتوت سورة يوسف على أهم المبادئ الأساسية التي يعتمد عليها المحققون في الجرائم الجنائية.

١٩- تحدثت سورة يوسف عن جميع العناصر الأساسية المكونة للجريمة؛ إذ تحدثت عن: (الجاني، والمجني عليه، والأدلة والقرائن والشهود، والمكان الذي تمت فيه الجريمة، والأدوات المستخدمة في ارتكاب الجريمة).

٢٠- العقاب في المجتمعات الظالمة دائما ما يقع على الضعفاء، فالحاكم الظالم فهو الذي يطبق العقاب على الضعيف، ويترك عقاب القوي، وإن ثبتت إدانته بالأدلة

البينة، أمّا الحاكم العادل فلا يطبق العقاب إلا على من تثبت عليه الأدلة أيّن كان.

٢١- أنقذ يوسف مصر بفضل الله من مجاعة كانت محققة، كما أنقذهم من سوء العاقبة بدعوتهم إلى عبادة الواحد الأحد.

٢٢- شرعت الحدود رحمة بالعباد؛ لأنها صادرة عن رحمة الخالق بجميع خلقه، وإرادة الإحسان إليهم، فالهدف من العقوبات هو المنع والزجر، لا الظلم والقهر.

٢٣- التفرقة بين الأولاد، من أهم الأسباب التي تورث الحقد والصراع، وقد يؤدي ذلك إلى تأصيل العداوة والبغضاء بينهم؛ لدرجة النفور وارتكاب الجرائم.

٢٤- وجوب الصبر والثبات عند الابتلاء مع اجتناب الظالم؛ حتى لا يتمادى في ظلمه.

٢٥- الكذاب لا يصدق، وإن أتى بما يثبت صدقه، فسوابق الإنسان تحدد سمعته.

٢٦- اتخذ الرق في العصر الحديث أشكالا عديدة، كالإتجار بالبشر، والعمل القسري، والزواج القسري، وقهر طفولة المستضعفين من الأطفال، واستخدامهم في الأعمال الإجرامية والمحرّمة مقابل مبالغ زهيدة؛ استغلالا لعوزهم وفقرهم.

*** ومما تجدر التوصية به:**

- عمل ندوات ومحاضرات حول التحذير من الجريمة، والتوعية بعواقبها الدينية والأخلاقية والاجتماعية.
- توظيف وسائل التواصل الاجتماعي، والإعلام بأشكاله المتعددة، في عمل حملات توعوية؛ لمعالجة أسباب الجرائم قبل وقوعها، للحد من انتشار الجريمة في المجتمع الإسلامي.
- إقامة جمعيات حكومية وأهلية منظمة، تتولى احتضان ضحايا الجرائم، والدفاع عن حقوق المتضررين وخاصة الضعفاء.

- وأخيرا أوصي بتدريس مادة دراسية في المدارس والجامعات عن أخلاقيات التعامل مع الآخرين، تتضمن دروسا في أهمية التسامح وكيفية الصفح، وتدريبات على ضبط الانفعال النفسي؛ وبذلك نحقق الخيرية لأمتنا، كما أراد الله تعالى لها.

*** ولله الأمر من قبل ومن بعد، فهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

د. نجلاء العدلي

ثبت المصادر والمراجع

١. الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن حبيب، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ -١٩٨٣ م).
٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه (١٣٧٧هـ -١٩٧٥م).
٣. الأدلة الجنائية والتحقيق الجنائي، منصور عمر المعايطة، دار الثقافة، الأردن، الطبعة الثالثة (٢٠١٥م).
٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١ هـ -١٩٩١ م).
٦. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (١٤٣٢هـ).
٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).
٨. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.
٩. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكاتب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٦٨م).

١٠. تفسير القرآن، للسمعاني (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ -١٩٩٧ م).

١١. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، (٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ).

١٢. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم الخطيب (١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة (٢٠٠٥م).

١٣. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى (١٣٦٥هـ -١٩٤٦م).

١٤. التوبة إلى الله، صلاح السدلان، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة (١٤١٦هـ).

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م).

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م).

١٧. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ -١٩٦٤م).

١٨. الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (٢٠٠٨م).
١٩. الحسد في ضوء القرآن والسنة، د. عمرو عفيفي، دار البشير للثقافة، طنطا (٢٠٠٣م).
٢٠. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، (٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية (١٣٩٥هـ -١٩٧٥م).
٢١. شرح قانون الإجراءات الجنائية، د. محمد أبو العلا عقيدة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية (٢٠٠١م).
٢٢. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ).
٢٣.صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج النيسابوري، (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٤. كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ).
٢٥. علم النفس المعاصر، د. حلمي المليجي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثامنة (٢٠٠٠م).
٢٦. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، تصنيف: السمين الحلبي، تحقيق وتعليق: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ -١٩٩٣م).

٢٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).
٢٨. غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ -١٩٧٨ م).
٢٩. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية (٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ -١٩٨٧م).
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت (١٩٧٩م).
٣١. الفراسة عند العرب، وكتاب الفراسة لفخر الدين الرازي، تأليف: د. يوسف مراد، ترجمة وتقديم: د. مراد وهبة، مراجعة: د. إبراهيم بيومي مدكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٢م).
٣٢. الفواكه، للدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غانم شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (١١٢٦هـ)، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ -١٩٩٥م).
٣٣. القرائن ودورها في الإثبات في الفقه الجنائي الإسلامي، د.أنور محمود دبور، دار الثقافة العربية، القاهرة (١٩٨٥م).
٣٤. قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٨٨هـ -١٩٦٨م).
٣٥. كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد البغدادي (٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ).

٣٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م).

٣٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).

٣٨.لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٣٩. لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).

٤٠. مبادئ قانون العقوبات المصري، د. أحمد عوض بلال، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠١٢م).

٤١. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

٤٢.معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى(١٤٢٠هـ).

٤٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).

٤٤. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م).

٤٥. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ.

٤٦. مؤتمر تفسير سورة يوسف، عبد الله العلمي الغزي الدمشقي، دار الفكر، سوريا، الطبعة الأولى (١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

٤٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ -١٩٩٥م).

٤٨. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن حبيب، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٢ هـ -١٩٩٢م).

ثانيا: المواقع الالكترونية

١) البصمات وحاسة الشم العربية، د. عاطف الفراية، مقال منشور بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٢م،
https://www.ammonnews.net/article/4820

٢) التقرير السنوي لمؤشر الجريمة العالمي لعام ٢٠١٦، المنشور على موقع موسوعة قاعدة البيانات " نامبيو"، وقد نشرته كثير من المواقع ومنها هذان الموقعان:

http://www.aljazeera.net/multimedia/infograph/2016/12/11
http://www.alakhbar.com/node/269504

٣) حقوق الإنسان (أشكال الرق في العصر الحديث)، مقالة مترجمة ومنشورة على الموقع بتاريخ ٢٠١٣/١٠/١٨م،

https://www.thenewhumanitarian.org/ar/khbr/2013/10/18/shkl-lrq-fy-lsr-lhdyth

Almasadir wa Elmarajie

1. al'ahkam alsultaniatu, li'abi alhasan eali bin habib, alshahir bialmawrdi (450h), dar alhadith, alqahirat, altibeat al'uwlaa (1404 ha -1983 ma).
2. 'iihya' eulum aldiyni, li'abi hamid alghazali (505ha), dar 'iihya' alkutub alearabiati, mutbaeat eisaa albabi alhalbii washarakah (1377h -1975ma).
3. al'adilat aljinayiyat waltahqiq aljanayiyu, mansur eumar almueaytt, dar althuqafat, al'urdun, altibeat alththalitha (2015ma).
4. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitab alkarimi, li'abi alsaeudi, muhamad bin muhamad bin mustafaa (982h), dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, bidun tarikh.
5. 'iielam almuaqiein ean rabi alealamina, liaibn qiam aljuzia (751ha).tahqiq: muhamad eabd alsalam 'iibrahim, dar alkutub aleilmiat, birut, altibeat al'uwlaa (1411 ha -1991 m).
6. 'iighathat allihfan min masayid alshaytan, liaibn qiam aljuzia (751h), tahqiqa: muhamad hamid alfqy, maktabat almuearifi, alriyadu, almamlakat alearabiat alsaeudia (1432h).
7. albahr almuhit fi altafsiri, li'abii hian alandlsi (745h), thqyq: sadqi muhamad jamil, dar alfikr, birut, altibeat al'uwlaa (1420 h).
8. tarikh bani 'iisrayiyl min 'asfarihim, muhamad eizat darwzat, almuktabat aleisriat, sida, bayrut, bidun tarikh.
9. altashrie aljinayiyu al'iislamiu muqarana bialqanun alwadeii, eabd alqadir eawdat, dar alkatib alearabii, bayarut, altibeat al'uwlaa (1968m).
10. tafsir alqurani, lilsameani (489ha), tahqiqa: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabbas bin ghanimi, dar alwatn, alriyad, alsaeudiat, altabeat al'uwlaa (1418 ha -1997 m).
11. tafsir alquran aleazimi, liaibn 'abi hatim, (327ha), tahqiq: 'asead muhamad altiyb, maktabat nizar mustafaa albazi, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altibeat alththalitha (1419h).
12. altafsir alquraniu lilqurani, lieabd alkarim alkhatib (1390ha), dar alfikr alearabi, alqahr (2005m).

13. tafsir almaraghi, li'ahmad bin mustafaa almaraghi (1371h), sharikat maktabatan wamatbaeat mustafaa albabaa alhulbii wa'awladih bimisri, altabeat al'uwlaa (1365h -1946m).
14. altawbat 'iilaa allah, salah alsudlan, dar bilinsiat lilnashr waltawziei, alriyadi, altibeat alrrabiea (1416h).
15. taysir alkarim alrahmini fi tafsir kalam almanani, lieabd alrahmin bin nasir alsuedi (1376h), tahqyq: eabd alrahmin bin maeala allawayhiq, muasasat alrasalat, altabeat al'uwlaa (1420h -2000ma).
16. jamie albayan fi tawil alquran, limuhamad bin jarir altabrii (310h), tahqiqu: 'ahmad muhamad shakir, muasasat alrasalat, altabeat al'uwlaa (1420 ha -2000 m).
17. aljamie li'ahkam alqurani, lilqartabi (671ha), tahqiq: 'ahmad albirduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat, alqahirat, altibeat alththania (1384h -1964ma).
18. aljarimat waleuqubat fi alfaqih al'iislamii, muhamad 'abu zahrat, dar alfikr alearby, (2008m).
19. alhasd fi daw' alquran walsinati, da. eamrw eafifi, dar albashir lilthaqafati, tanta (2003ma).
20. sunan altarmadhi, limuhamad bin eisaa altarmadhi, (279ha), tahqiq wataeliqu: 'ahmad muhamad shakir wakharina, matbaeat mustafaa albabi alhalbi, misr, altbet: alththania (1395h -1975m).
21. sharah qanun al'iijra'at aljinayiyati, da. muhamad 'abu alealaa eaqidat, dar alnahdat alearabiat, alqahirat, altibeat alththania (2001m).
22. sahih albikhari, limuhamad bin 'iismaeil albikhari, tahqiqa: muhamad zahir bin nasir alnaasir, dar tuq alnaja (msurat ean alsultaniat bi'iidafat tarqima: muhamad fuad eabd albaqy), altbet: al'uwlaa (1422h).
23. sahih musalamun, limuslim bin hujaj alnysabwry, (261h), tahqiq: muhamad fuad eabd albaqi, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, bidun tarikh.
24. kitab alsabeat fi alqara'ati, liaibn majahid albaghdadi (324ha), tahqiq: shawqi dayf, dar almuearif, misr, altabeat alththania (1400h).
25. eulim alnafs almaeasiru, da. hilmi almalijii, daru alnahdat alearabiatu, birut, altibeat alththamina (2000m).

26. eumdat alhifaz fi tafsir 'ashraf al'alfazi, muejam laghawiin li'alfaz alquran alkarimi, tasnyf: alsamin alhalbi, tahqiq wataeliq: da. muhamad altwnjy, ealam alkatab, bayrut, altibeat al'uwlaa (1414 hu -1993m).
27. gharayib alquran waraghayib alfurqani, lilnaysaburi (850ha), tahqiqa: alshaykh zakariaa eamirat, dar alkutub aleilmiat, birut, altibeat al'uwlaa (1416h).
28. ghurayb alqurani, liaibn qatibat aldiynurii (276ha), tahqiqa: 'ahmad saqr, dar alkutub aleilmiat, altabeat al'uwlaa (1398h -1978 ma).
29. alfatawaa alkubraa, liaibn timia (728ha), dar alkutub aleilmiat, altabeat al'uwlaa (1408h -1987ma).
30. fath albari sharah sahih albikhari, liaibn hajar alesqlany, tahqiq: muhamad fuad eabd albaqi, wamahabi aldiyn alkhatibi, dar almuerifat, bayrut (1979m).
31. alfarasat eind alearab, wakitab alfarasat lifakhr aldiyn alraazi, talif: d. yusif marad, tarjamat wataqdim:an da. murad wahibati, murajieat: da. 'iibrahim biawmi madakuiri, alhayyat almisriat aleamat lilkitab (1982m).
32. alfawakih, lildawanii ealaa risalat abn 'abi zayd alqirwani, li'ahmad bin ghanim shihab aldiyn alnafrawi al'azhri almaliki (1126h), dar alfikr, altibeat al'uwlaa (1415h - 1995ma).
33. alqarayin wadawruha fi al'iithbat fi alfaqih aljinayiyi al'iislamii, da.'anwr mahmud dubawr, dar althaqafat alearabiat, alqahr (1985m).
34. qass al'anbia', li'abi alfada' 'iismaeil bin kthyr (774h), thqyq: mustafaa eabd alwahid, mutbaeat dar altaalif - alqahirat, altabeat al'uwlaa (1388h -1968m).
35. kitab alsabeat fi alqara'ati, liaibn majahid albaghdadi (324ha), tahqiq: shawqi dayf, dar almuearif, misr, altabeat alththania (1400h).
36. alkashf walbian ean tafsir alqurani, lilthaelabii (427h), tahqyq: al'imam 'abia muhamad bin eashur, murajaeat watadqyq: al'ustadh nazir alsaaeidi, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, labnan, altibeat al'uwlaa (1422 hu - 2002m).
37. alkashaf ean haqayiq ghuamid altanzili, lilzamkhishri (538h), dar alkitab alearabiu, bayrut, altibeat alththalitha (1407h).

38. libab altaawil fi maeani altanzili, lieala' aldiyn eali bin muhamad almaeruf bialkhazin (741h), thqyq: tashih muhamad eali shahin, dar alkutub aleilmiat, birut, altibeat al'uwlaa (1415h).
39. lisan alearab, liaibn manzur (711ha), dar sadr, bayrut, altibeat alththalitha (1414h).
40. mabadi qanun aleuqubat almisrii, da. 'ahmad eiwad bilali, dar alnahdat alearabiati, alqahirati, altibeat al'uwlaa (2012m).
41. muhasin altaawil, limuhamad jamal aldiyn alqasimii (1332ha), tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwd, dar alkutub aleilmiat, biarut, altibeat al'uwlaa (1418h).
42. maealim altanzil fi tafsir alqurani, li'abi muhamad alhusayn bin maseud albaghwi (510h), tahqyq: eabd alrazzaq almahdi, dar 'iihya' alturath alearaby, biarut, altabeat alawla(1420h).
43. mafatih alghayb = altafsir alkabiru, lilraazii almulaqab bifakhr aldiyn alraazi khatib alriy (606h), dar 'iihya' alturath alearabii, biarut, altibeat alththalitha (1420h).
44. mufradat 'alfaz alqurani, lilraaghib alasfhani, tahqyq: safwan eadnan dawidi, dar alqalam, dimashq, birut, altibeat al'uwlaa (1412 hu -1992m).
45. almaejam alwasitu, limajmae allughat alearabiat bialqahirati, dar aldaeawati, bidun tarikh.
46. mutamar tafsir surat yusif, eabd allah aleilmia alghuziyi aldamshqi, dar alfikr, surya, altabeat al'uwlaa (1381h - 1961ma).
47. nazam aldarar fi tanasab alayat walsuwri, lilbiqaei (885ha), dar alkitab al'iislami, alqahirat, altabeat al'uwlaa (1415 hu -1995ma).
48. alnakt waleuyun, li'abi alhasan eali bin habib, alshahir bialmawrdi (450h), thqyq: alsyd aibn eabd almaqsud bin eabd alrahim, dar alkutub aleilmiat, biruat, labnan, altibeat al'uwlaa (1412 hu -1992m).